في شرق اليمن

تاليف

الاستاذ/صلاح عبدالقادر البكري اليافعي

طبع بمطابع دار الكشّاف ببيروت - في:

ذو الحجة سنة ١٣٧٤هـ الموافق اغسطس

عام ١٩٥٥م

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

صورة المؤلف

المولود ١٩١٢م - ١٣٣٠هـ

السيد علي عبد الله العيسائي اليافعي

الاهداء

الى الفاضل العصامي الكريم السيد على عبد الله العيسائي الذي قام باعظم قسط في اعداد الرحلة وفي طبع هذا الكتاب .

الى شيوخ يافع وقادتهم الذين أكرموني وبالغوا في الاحتفاء بي .

الى الأصدقاء الأوفياء وعلى رأسهم الشيخ قاسم عبد الرحمن المفلحي والسيد عمر قاسم الذين ساهموا في طبع هذا المؤلف وهو اول كتاب يصدر عن يافع .

بسم الله الرحمن الرحيم

ملك عبد الهادي بن احمد الكبسي

تمهيد

منذ سنوات مضت وبالأصح سنة ١٩٤٧ طاف بعاطفتي نداء يدعوني دعاء خفياً لزيارة بلاد يافع وطن الآباء والجدود . ولكن الظروف دفعتني الى حضرموت في أغسطس سنة ١٩٤٧ . وعدت بعد ثلاث أشهر وأصدرت كتاب « في جنوب الجزيرة العربية » . بيد أنّ النداء ظل يطوف بعاطفتي ويجول بذاكرتي .

إن أمنيتي الكبرى ان أرى بلاد يافع على الطبيعة بعيني وان أدرس الأوضاع كما هي كائنة وأن أدرس النظم كما هي قائمة وأن أعرف أهداف الاهالي كما رسموها بأنفسهم ولأنفسهم .

وأشكر الله جل شأنه حيث هيأ لي الأسباب وحقق أمنيتي ، أجل ذهبت الى يافع العليا ويافع الساحل ورأيت ودرست وعرفت في حدود ما اتسع لي من الوقت .

هالني بعض ما رأيته أو درسته أو عرفته ، وليس بذي بال أن أقول للقراء الآن ان كان قد هالني قبحاً أو هالني حسناً ، انما ذو البال اني وقفت على حقائق اهتز لها مني الكيان فرأيت أن أبصّر بني قومي بها ، وأن أضع أعينهم عليها ، راجياً من أولئك الذين أنعم الله عليهم بنصيب وافر من الذكاء والادراك وبعد النظر أن يلموا شعث قومهم ، وأن يجمعوا كلمتهم ، وأن يوحدوا صفوفهم ، وأن يرشدوهم الى طريق أقوم ، وحياة أرقى وأفضل .

بيروت ذو الحجة ١٣٧٤
اغسطس ١٩٥٥

من جدة الى عدن

١ شوال ١٣٧٣

أخرجت المساجد اثقالها بعد صلاة العيد، وانطلق الناس في شوارع جدة فرحين مستبشرين ، وكان الصبيان يمرحون بما أخذوا من زينة وما أوتوا من نقود . وتسللت بنا سيارة السيد علي عبد الله العيسائي في تهاد وبطء كأنها تشفق ان يزعج صوت عجلاتها أولئك الفرحين بالعيد .

إنتحينا جانباً في مقصف المطار ننتظر ساعة الرحيل . ولما دنا الضحى من ختامه حلقت الطائرة بنا وراحت تشق طريقها في جو السماء ،وظهر البحر الاحمر وأخذت مباني جدة تختفي شيئاً فشيئاً . جلسنا صامتين ، ولكن صديقنا السيد علي عبد الله العيسائي انبرى للحديث ، ولعله اراد ان يدخل الى نفسي السرور ، وكنت غارقاً في لجة عميقة من التفكير ، فانخفض صوته تدريجياً ، واختفت الكلمات بين شفتيه واطبق السكون مرة اخرى .

لم اكن نائماً ولا حالماً ولا هائماً حين كان السيد العيسائي يحدثني وانما انا يقظ كأقوى ما تكون اليقظة ، حاضر الذهن ، كاحسن ما يكون حضور الذهن . وكل ما في الامر اني كنت افكر طويلاً في الرحلة الى يافع وما سيعترضني من عقاب كأداء وطرق ملتوية شاقة .

دخلنا حدود اريتريا وبدت جبالها المكسوة بالاعشاب تناطح السحب وسرعان ما هبطت درجة الحرارة. يالها من مناظر جميلة ، هضاب طاعنات في السماء ووديان عميقة خضراء ومنازل بيضاء جاثمة على سفوح الجبال ، كأنها ركامات الجليد .

هبطنا مطار اسمرة . الجو بارد والنسيم عليل ، وكل شيء حولنا جميل . وبعد ان اخذنا قسطنا من الراحة ركبنا الطائرة ودارت محركاتها ودرجت فوق ارض المطار ، ثم ارتفعت حتى ارتقت السحب رويداً رويداً ولم ير الركاب سوى قطع من السحاب تتراءى عن اليمين وعن الشمال ، ولم نسمع سوى زئير الطائرة يهزم الفضاء يدوّي فيصم الآذان .

اختفت اسمرة الجميلة ، واجتزانا البحر الاحمر وظهرت جبال جرداء وقفار غبراء . وبعد الساعة الخامسة مساء ظهرت لنا عدن بضواحيها المتباعدة ، وظهر المطار ، واخذت الطائرة تحوّم فوقه نحو نصف ساعة فقد توقفت احدى عجلاتها عن الحركة ، ولكن المهندس استطاع بمهارته ان يبعث الحركة فيها ، ولولا لطف الله عز وجل لحدثت كارثة شنيعة .

عدن

وعدن محطة هامة لتموين البواخر ، وبها اكبر سوق تجاري في شبه الجزيرة العربية ، فهي التي تمون الامارات الجنوبية كحضر موت ولحج والعوالق ويافع ، كما تمد اسواق سواحل افريقيا الشرقية بمختلف السلع . وليس هناك في الجزيرة العربية مدينة تضاهي عدن وتنافسها من حيث النظام ونظافة الشوارع وكثرة الملاهي . ومعظم الافلام التي تعرض في دور السينما مصرية وهندية ، والاقبال عليها شديد ، والحر لا يطاق ، فقد كنت في الايام التي قضيتها هناك انام تحت هواء المروحة . والماء في عدن لا يستسيغه انسان شرب من ماء النيل او من ماء آخر يوازي

ماء النيل في العذوبة .

وسكان عدن لا يزيدون على مائة وخمسين الف نسمة .

والحياة الادبية في عدن تسير الى الامام بخطوات واسعة بفضل شبابها المثقف ، وكل الصحف اسبوعية ، وللمطبوعات العربية والصحف والمجلات المصرية سوق رائجة . وهناك مدارس ابتدائية وثانوية عربية وانجليزية وكلية انجليزية انشئت على احدث طراز ، بها قسم داخلي يضم عدداً كبيراً من ابناء الامارات المحمية .

ولعدن بعثات علمية في مصر والعراق والسودان .

وهناك جمعيات اصلاحية وخيرية ونواد ادبية ورياضية .

ومن المباني الأثرية في عدن « الصهاريج » والشيء العجيب ضخامة أحواضها واتساعها العظيم فهي تحوي من الماء أكثر من ثلاثين مليون جالون وهي جافة . ولقد أنشئت بواسطة ادارة حربية فنية ، وتاريخ انشائها مجهول .

احتلال الانجليز لعدن

عندما احتلت الحملة الفرنسية مصر سنة ١٧٩٨ بدأ اهتمام الانجليز بجنوب الجزيرة العربية فقد احتلوا « بريد » سنة ١٧٩٩ ليغلقوا البحر الأحمر في وجه الفرنسيين ، ثم أخلوها لرداءة جوها وقلة مائها ، وولت السياسة البريطانية وجهها شطر عدن واستطاع السير هوم بوبيهام في ١٨٠٢ أن يعقد اتفاقاً تجارياً مع سلطانها العبدلي .

والانجليز لم يجدوا مكانا أصلح لتموين بواخرهم من عدن ، فاتفقوا في عام ١٨٢٩ مع سلطان لحج على استعمال عدن كمحطة للفحم .

واستغل الانجليز حادثة السفينة « داريا دولت » ابرع استغلال فقد جنحت هذه السفينة في يناير سنة ١٨٢٧ على مقربة من ميناء عدن ،

وكانت ملك السيدة بيجيم بنت أخت النائب كـــلاناتيك وكان العلم الانجليزي يرفرف عليها وكان بها شحنة كبيرة قدرت قيمتها بعشرين ألف جنيه ..

جاءها جماعة من الاعراب وسطوا على البضائع ونهبوا وكابهـــا ، وادعى الانجليز أنه كان على رأس المهاجمين اكبر ابناء سلطان لحج ، وعلى أثر ذلك قدم السير روبرت جرانت حاكم بومباي تقريراً هامـاً جاء فيه ما يأتي :

« ان تأسيس خطوطنا البحرية في البحر الاحمر وتكوين اسطول صغير من البواخر المسلحة تجعل من الضروري ايجاد محطة تابعة لنا على ساحل بلاد العرب ، كما هي الحال في الخليج العربي ، ثم ان الاهـــانة التي ألحقها سلطان عدن بنا تجعاني لا اشك لحظة في شدة حـاجتنا الى امتلاك عدن . »

وفي ٢ فبراير سنة ١٨٢٨ تمّ الاتفاق بواسطة الكابتن هينز على أن يتخلى السلطـــان عن عدن للانجليز في مقابل مبلغ كبير من المال ، ولكن حدث ما لم يكن في حسبان الكابتن هينز إذ عارض ابن السلطان في الاتفاقية التي عقدها ابوه .

وفي الوقت الذي استعد فيه الكابتن هينز للنزول بجنوده ، علم أن مؤامرة دبرت له حتى يستعيد السلطان الاتفاق الذي مهره بخاتمه ، وان السلطان نفسه وقع تحت تأثير ابنه واقاربه وانه قرر المقاومة بكل ما لديه من قوة فأبحر هينز الى بومباي .

وعندما عاد هينز في ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٢٨ تحرش العرب بالسفن الانجليزية فتراجع هينز الى جزيرة صغيرة ينتظر الامدادات حتى وصلت اليه في ١٦ يناير سنة ١٨٢٩ وفي خلال يومين احتل عدن .

ولا شك ان احتلال الانجليز لعدن ضربة موجهة إلى محمد علي باشـا

والي مصر لارغامه على الانسحاب من اليمن . وفي الوقت الذي كان ابراهيم يكن باشا قائد الحملة المصرية في اليمن يعمل على توطيد الحـــكم المصري ، كان الكابتن يتصل بمشايخ القبائل المجاورة لعدن والتي خضعت للحكم المصري متوددا اليهم بالهدايا والمرتبات ، وشرع يحرضهم على عدم دفع الزكاة المفروضة عليهم لحكومة اليمن المصرية ، ولقد نجح الى حد كبير .

وخاف محمد علي باشا ان يقوى نفوذ الانجليز ويمتد سلطانهم فكتب إلى ابراهيم يكن يستفسر عن صلة الانجليز بالعرب ، ويطلب اليه عدم السماح بارسال أحد من الصناع وارباب المهن من نجا الى عدن .

وقبل ان يتسلم ابراهيم يكن الأمر السامي بعث الى محمد علي برسالة يقول فيها : « ان القائد هينز الذي احتل عدن مقيم بجوار الاماكن التي الحقت حديثاً بالحكومة المصرية ، وقد اخذ يقوي مشايخ بعض المراكز والقرى ، ويتودد اليهم ، ويجتذب قـــلوب الذين يتبعونه بالكسوة والمرتب ، وان سلوكه هذا يؤدي الى حدوث خلل في المصالح المصرية في اليمن . »

ونشط امام صنعاء عبد الناصر لدين الله في العمـــل لتقوية العلاقات بينه وبين محمد علي باشا ، فقد اوفد رسولاً من قبله هو السيد عبد الرب الى احمد يكن باشا حاكم الحجاز ليسهل له السفر الى مصر للتفاهم مع محمد علي .

وما كانت تلك الحركات لتخفى على السياسة الانجليزية التي بثت عيونها في اليمن خوفاً من انضمام اليمن كله الى الامبراطورية العربيـة الكبيرة التي كونها محمد علي ، ولا سيما ان بعض البلاد العربية بدأت تتجه الى مصر .

فـكانت ترد الى محمد علي تقارير من حضر موت وغيرهـــا يطالب اصحابها بالانضمام الى الحكومة المصرية التي بدأ ينشئها ابراهيم يكن في

اليمن ، وكان أهم هذه الرسائل رسالة من حضر موت المحفوظة بدار المحفوظات الملكية بعابدين يطالبون فيها بارسال موظفين وجنود لتنظيم احوال حضرموت واعادة الامن اليها ، وكان على رأس موقعي هذه العريضة علي بن عمر بن سقاف وسالم بن حماد باعبيد ومحسن بن علوى .

وتوردت تقارير على وزارة الخارجية البريطانية من قناصلها في الشرق بأن محمد علي سيرسل جيوشه لاحتلال مدخل البحر الاحمر عند باب المندب وسواحل حضر موت ، فكتب بلمرستون الى القنصل الانجليزي في مصر الكولونيل كامبل ليقابل محمد علي ويخبره بان مثل هذه الخطوة لا ينظر اليها بعين الرضا في انجلترا أو في الهند، وأكد محمد علي لكامبل انه لا يفكر في التوسع خارج البحر الاحمر ، ولا يبغي امتداد املاكه شرق اليمن .

وعندما تعقدت المشاكل بين محمد علي وسلطان تركيا ، واستحكم النزاع وثارت الحرب طلب بلمرستون من محمد علي جلاء الجيوش المصرية عن اليمن باجمعه ، فأجاب محمد علي « سأضع هذا الطلب موضع النظر عندما تفرغ الدول من بحث المسألة الشرقية . »

ولقد ذكر الكولونيل كامبل في رسالة الى بلمرستون ان محمد علي لم يذعن لهذا التهديد ، وأراد اكتساب الوقت بقوله : « ولست استطيع في الوقت الحاضر اتخاذ اجراءات للجلاء عن اليمن ، ولكني سأصدر أمراً الى بوغوص بك بارسال رد على طلب وزير الخارجية الانجليزية . »

وشاءت السياسة الدولية اذ ذاك أن تقف موقف العداء من محمدعلي فأضطر الى سحب جيشه من اليمن في فبراير سنة ١٨٤٠ وتسلم اقسامها المختلفة بعض شيوخها الأحرار .

وهكذا خدمت الظروف الأنجليز فتوطدت اقدامهم في عدن .

من عدن الى يافع

الثلاثاء ٧ شوال

كان الجو لافحاً حين حلقت بنا الطائرة من مطار عدن الى مكيراس ولقد اكتظت على سعتها بالركاب من مختلف القبائل العربية التي تقيم في المحميات الجنوبية .

واتخذ رفيقنا قحطان مكانه في الطائرة واضعا بندقيته بين رجليه كجندي باسل في ساحة القتال ويظهر أنه لم يسافر جواً من قبل فعلى وجهه مسحة من الدهشة والحيرة .

أما الرفيق الآخر عبد احمد الفردي فكان كثير التلفت يمنة ويسرة والابتسامة لا تفارق شفتيه ، ولعله كان يحلم بلقاء اهله في يافع الذين انقطع عنهم ردحاً من الزمن .

وكنت قابعاً في مكاني وعلى يساري شباك الطائرة ارسل النظرات من خلال زجاجه السميك .

كانت اول نظرة القيتها على جبال يافع فيسر لي ذلك ان اتعرف الى معالم سطحها بشيء من الوضوح ، وكانت الطائرة على ارتفاع يمكننا، الى حد ما ، من تبين الأشياء .

الجبال ترتفع من الجنوب ارتفاعاً مباشراً وكأنها ترتقي في ثلاث

درجات ارتقاء مصعداً صعباً لكنها تنحدر نحو الشمال الشرقي انحداراً تدريجياً فيه هون ولين . وتكثر في هذه الانحدارات الاودية وترى الاعشاب القصيرة التي تظهر عقب الغيث .

وحيث تتكون وهدات متسعة يغزر الكلأ اذ تتجمع فيها المياه وتظل مدة اطول تغذي هذه الاعشاب بعد انقطاع المطر في الشتاء . وكلما اتجهنا شرقاً تقل الحشائش ، وتمعن المرتفعات والتلال في القحولة بحيث لا تعود تصلح للأنبات .

مكيراس

وصلنا مطار مكيراس بعد نصف ساعة ، وشعرنا عند نزولنا من الطائرة بجو معتدل ونسيم عليل ، ولا غرو فالمطار المتواضع يقع على سطح جبل عال ، وهناك دار مربعة الشكل على سطحها اكياس من الرمل ومن خلفها يجثم عدد من الجنود المسلحين يحرسون المطار من هجمات العواذل الذين يعارضون احتلال الانجليز لبلادهم .

واقبل عدد من الناس بحميرهم القصيرة ليحملوا المسافرين عليها الى حيث يذهبون . وهرعنا الى سيارة اجرة ، وكانت السيارة الوحيدة هناك ، وحشر صاحبها الركاب فيها حشراً اضطر البعض للركوب على سطحها . واندفعت بنا ببطء في طريقها الى البيضاء وكانت تميل ذات اليمين وذات الشمال ، على الرغم من ان الطريق غير وعر ولكن السيارة بلغت من الكبر عتيا فهي تترنح في سيرها حيناً وتتوقف أخرى ، وتارة تندفع عند الانحدار فتعتري الركاب موجة من الخوف والفزع .

سيارة عليها رجال وبجانبها ايضاً

مدينة البيضاء

وأخيراً وبعد ساعتين وصلنا البيضاء سالمين فشكرنا الله على ذلك وقد ذهبنا الى منزل الشيخ سالم حسين الرماح وقدمنا له خطاب توصية من السيد علي عبدالله العيسائي ونسخة من كتابنا « في جنوب الجزيرة العربية » ولقد اكرمنا كثيراً وأصدر أمره باعفائنا من الرسوم الجمركية .

والبيضاء مدينة عليها مسحة من الجمال ومنازلها عالية ، وتقع على تل

مرتفع وعلى مقربة منها مزارع الذرة .

ولقد انتهزت الفرصة فقمت بجولة في المدينة زرت خلالها المستشفى والمدرسة الجديدة .

ولم نطل المكث فقد غادرنا البيضاء الساعة الخامسة مساء وحوالي الساعة الثامنة وصلنا بلدة الزاهر بعد ان اجتزنا طريقا ممهداً صالحاً لسير السيارات .

الزاهر

استقبلنا الشيخ سالم عبد القوى الحميقاني حاكم الزاهر بما عرف عنه من الكرم والنبل ، وقضينا في منزله ليلة جميلة ممتعة ، والشيخ الحميقاني رجل متحدث لبق عديم الثرثرة ، بعيد النظر ، وهو من الشخصيات البارزة التي تنتفع بهم حكومة اليمن الى حد كبير . واتباعه يدينون له بالطاعة العمياء . والزاهر بلدة متواضعة وعلى مقربة منها اراض خصبة تروى بماء الآبار الارتوازية . والذرة اهم المزروعات .

وفي الصباح غادرنا الزهر الى يافع وأبى الشيخ الحميقاني الا ان يركبنا حصانه ، زيادة في التكريم ، الى آخر حدود الزاهر .

داخل حدود يافع

وعند عينة ظهرت اراضي يافع بوضوح . الطريق وعر كثير التلال والتعاريج والاخاديد الصخرية ، وظهر جبل حلّين طاعناً في السماء ، وعلى سطحه يقوم قصر السلطان محمد صالح بن هرهره ذو الطبقات العالية .

ومقر آل هرهرة المحجبة يقع في بطن واد بالقرب من مسجد النور ، ولكن حين حدث خلاف فيما بينهم انتقل السلطان صالح بن عمر

الى جبل حلّين وبنى قصره الذي يقع على هذا الجبل . وقد اغتيل السلطان صالح في هذا القصر في فبراير ١٩٤٩ بيد ابناء عمومته .

استمر كفاحنا مع الطريق الوعر ساعات متتالية داخل حدود يافع . وفي الساعة الثانية مساء وصلنا خيلة واخذنا قسطاً من الراحة في منزل احد السكان .

وخيلة قرية متواضعة مبنية من الحجر وتقع على تل صخري مرتفع وسط الوادي وحولها مزارع الذرة والقات .

القات

ولأول مرة أرى شجر القات الذي كنت إسمع عنه كثيراً . وهو دائم الخضرة ، اوراقه مستطيلة مدببة ولا يرتفع عن سطح الارض اكثر من سبعة امتار . ولم يكن معروفاً في يافع منذ ثلاثين عاماً .

وقد انتقلت زراعة القات من الحبشة الى اليمن ومن هذه انتقلت الى يافع وما جاورها من الامارات الجنوبية ما عدا حضر موت . ومضغه ليس هو تسلية اهل اليمن فقط بل واهالي يافع وعدن ولحج وغيرها . ولقد احسنت حكومة حضرموت حين منعت استيراده وزراعته بحضرموت .

وتجارة القات رابحة لكثرة عشاقه . والمولعون به يصرفون اكثر مما يصرفه المدخنون .

وحين جئت عدن للمرة الاولى سنة ١٩٤٧ مضغت ورقة منه مدفوعاً بحب الاستطلاع فشعرت انه قذارة ولكن عندما يتعوده الانسان يشعر بنكهة غريبة تدوم ما دام الشعور غير مفقود . وهو كما يزعم بعضهم ينبه الشعور ويرهق الذكاء . ونتائجه لا تدوم الا وقتاً قصيراً .

واحب الاوقات لتعاطيه هو بعد الظهر . يذهب كل واحد الى مكان الاجتماع حاملاً معه حزمة من القات . وبعد حوالي ساعة تبدأ النكت والقصص . ويخوض بعضهم في السياسة فينتقد سياسة تشرشل وايزنهاور ، ويتمنى البعض من اعماق قلبه بعث المانيا من جديد . ويتحمس البعض الآخر للقضايا العربية فيسرد آماله واحلامه في جامعة الدول العربية ، بينما يعارضه آخرون في هذا الاتجاه .

وهكذا يستمر النقاش والجدل في السياسة وفي غير السياسة ساعات متتالية من الساعة الثانية مساء الى ما بعد غروب الشمس . وللقات علاوة على تجارته الرابحة منفعة ضئيلة قصيرة الأمد ، فعندما يعتري الاعصاب شيء من التخدير يندفع عشاقه في احلام اليقظة «Day dreams» وينسون الى حد ما ، ما اعترضهم في اول النهار من متاعب ومن هم وغم ، ففي تعاطيه شيء من التنفيس . وهو في هذه الناحية يشبه الى حد كبير المشروبات الروحية .

أما اضراره فتنحصر في ثلاثة :

اولاً : ضياع خمس ساعات من الزمن على الاقل في كلام فارغ لا فائدة فيه للمجتمع . فهو من هذه الناحية اكثر ضرراً من الخمرة لان عشاق الخمرة لا يضيعون من وقتهم حين يشربون اكثر من ثلاث ساعات .

ثانياً : الخسارة المادية وبخاصة على المعسرين وما اكثر عشاق القات المعسرين الذين يقدمون شراء القات على حاجيات المنزل الضرورية .

ثالثاً : الناحية الصحية ، فهو يجلب الامساك والصداع ويطرد النوم . ولعل هناك اضراراً أخرى يعرفها الاطباء .

مدينة قريش

من خيلة بعثنا رسولا يحمل خطاباً للشيخ عبد الله بن محمد ونيش البكري عاقل بني بكر . وفي الساعة الرابعة مساء وصلنا بلدة بني بكر وتسمى قرية قريش . وعند مدخل المدينة استقبلنا من بني بكر اربعمائة مسلح بحفاوة بالغة واطلقوا مئات الاعيرة النارية ترحيباً بنا وألقيت في (الزامل) قصائد شعبية . وقد انتهزت الفرصة حيث القيت كلمة على القوم دعوتهم فيها الى الاتحاد والتكاتف ونشر التعليم ثم ذهبنا الى منزل عاقل بني بكر . وبلدة بني بكر اكبر مدينة في يافع وتتكون منازلها المبنية من الحجر الجيري الاسود من طابقين الى أربعة وتقع على سفح جبل وعلى حافة وادي حطيب ذي المنظر الرائع .

وكنا قد اردنا الذهاب صباح الخميس الى آل الخلاقة ولكن الشيخ علي ناصر البكري أبى الا ان يستضيفنا يوماً كاملاً في داره . فنزلنا عند رغبته وقضينا في داره سهرة ممتعة تحدثنا فيها في شتى المواضيع ؛ والشيخ علي ناصر متحدث واسع التفكير .

بلدة خلاقة

وبعد صلاة الجمعة غادرنا بني بكر الى بلدة الخلاقة واخذنا معنا حماراً وما خف حمله إذ لا بد من العودة الى بني بكر في طريقنا الى الشبر بلدة الحضارم .

الطريق بين بني بكر والخلاقة ممهد وقد قطعناه سيراً على الاقدام في أقل من ساعة . وقد فضلت المشي على الركوب لاعتدال الجو وسهولة الطريق . وعلى حافة وادي حطيب وقفنا برهة نمتع انظارنا بتلك المناظر الخلابة . وينبع وادي حطيب من جبل العر ويمر في يافع

ويصب في وادي بنا ، وفي بنا يجري الماء الى ابين طول العام ويقل في الشتاء .

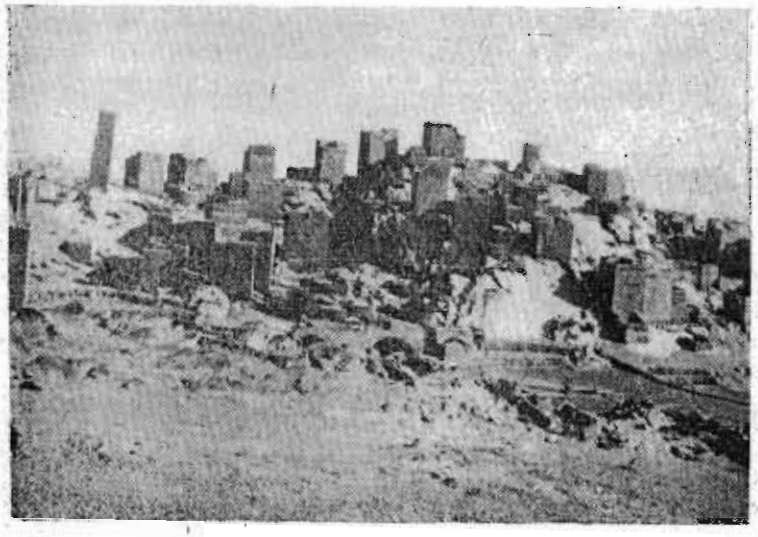

بلدة خـــلاقة

وفي بطن وادي حطيب حقول مغطاة باشجار البن الخضراء . وصلنا بلدة الخلاقة فاستقبلنا حوالي ثلاثمائة مسلح واطلقوا مئات الأعيرة النارية مبالغة في الترحيب بنا والقيت قصائد شعبية في (الزامل) ولقد القيت كلمة دعوت القوم فيها الى الاتحاد والتعاون ونشر التعليم .

نزلنا ضيوفا في دار الشيخ القاضي محمد علي الخلاقي وهو من اطيب الناس نفسا واصفاهم قلبا .

وفي الصباح اغارت اسراب من الجراد على المزارع المحيطة بالخلاقه فخرج كثير من النساء والرجال والولدان لطرده من الزرع . ولحسن الحظ لم تكن الاغارة عنيفة ولم تطل اقامته فقد رحل صوب الجنوب الغربي .

وغارات الجراد على جنوب الجزيرة العربية معروفـــة منذ عهود واغلة في القدم . وتهتم الدول الزراعية بتحركات جيوش الجراد . وقد عقدت لذلك مؤتمرات دولية في رومـا عام ١٩٣٢ والرابع في القاهرة عام ١٩٣٦ والخامس في بروكسل عام ١٩٣٨ .

وأهم ما قرره هذا المؤتمر تعاون البلدان المجاورة للدول التي يغزوها الجراد في القضاء عليه .

وللجراد مناطق يتوالد فيها قبل اغارته على جنوب الجزيرة بما فيها اليمن ، وهي شرق الاردن وغرب السودان وشمال افريقيا . ويتجدد اتجاه اسراب الجراد وفقا لهبوط الضغط الجوي ونزول الامطار واتجاه الرياح الشديدة .

ولا تزال اسباب هجرة الجراد غير معروفة ولوحظ من المشاهدات العلمية ان الجراد يتغذى اثناء الهجرة مـــا يزيد في شراهته عند وصوله للاراضي المنزرعة .

تضع انثى الجراد نحو ٤٠٠ بيضة وتفقس بعد ثلاثة أسابيع وتخرج الصغار العديدة الاجنحة التي يمكنها السير في صفوف متجمعة مسافـــة ٥ كيلو مترات يوميا . وتسمى هذه الصغار في حضر موت (الدّباء) .

وكان الجراد ولا يزال في البلدان المتأخرة يقاوم بالدق على الطبول والصفائح .

وتقاومه وزارات الزراعة في البلدان الراقية بقاذفات اللهب والطعم السام المكون من خلات النحاس الزرنيخية بعد خلطها بالردة وقد انشىء لهذا الغرض نوع خاص لمكافحة الجراد بوزارة الزراعة بمصر .

وتمنح وزارة الزراعة في لبنان نصف ليرة لكل فرد يبيد أقـة من الجراد مما يساعد الاهالي ويشجعهم على المساهمة جديا في المقاومة .

ويأكل بعض الناس الجراد . وبتحليل الجراد كيماوياً ثبت انه غني

بالعناصر الغذائية ، فهو يحوي ١٧ ٪ من الدهن و ٦٣ ٪ من البروتين و ١٠ ٪ ماء اليافا ومعادن و ١٠ ٪ ماء . فهو أغنى في عنصر البروتين من الدجاج والسمك واللحم . بعد ان تناولنا الغداء ظهر يوم السبت ١١ شوال بمنزل الشيخ القاضي محمد علي الخلاقي عدنا الى بني بكر ونزلنا في دار الشيخ عبد الرحمن بن عز الدين البكري فاحتفى بنا ايما احتفاء . .

الصلح بين بني بكر وخلاقة

وبين بني بكر وخلاقة حرب طال امدها ولكنها حرب شريفة نزيهة فليس هناك غدر ولا خيانة من أحد الفريقين فعندما يتقابل الفريقان ويقتتلان يعلنان الهدنة بعد حين فيأخذ كل منهما قتلاه او جرحاه من الميدان دون ان يعتدي احد على آخر . وقد يقوم صلح بين الفريقين . وفي اثناء الصلح يزور كل منهما الآخر كأن لم يحدث شيء بينهما وكثيراً ما يذهب بعض رجالات الخلاقة الى بني بكر لطلب مد الصلح او الهدنة فيحتفي بهم بنو بكر ويقبلون طلبهم . ولقد رأيت — والباقي من الصلح شهران — ان اعقد صلحاً بين الفريقين . لذلك جمعت الشخصيات البارزة من بني بكر في دار آل عز الدين ووفقت لعقد الصلح بين الفريقين يبدأ من اول صفر سنة ١٣٧٤ وينتهي في آخر محرم سنة ١٣٧٤ .

قبيلتا الفردى وريْو

تقع قبيلتا الفردى وريْو شمال بني بكر وخلاقة وهم الحد الفاصل بين اليمن ويافع اذ يفصلهم عن اليمن وادي حمرة الذي يتصل بوادي حطيب في وادي بنَا . وقد حاولنا زيارتهم ولكن لسوء الحظ لم تسمح لنا الظروف .

ويبلغ عدد قبيلة الفردى نحو ٢٠٠٠ مسلح وهم من يافع الضبى . اما عدد قبيلة ريْو فلا يقل عن ٩٠٠ مسلح وهم من يافع الموسطة .

الاحد ١٢ شوال

في الساعة الثامنة صباحا غادرنا بني بكر فودعونا بقلوب ملؤها الاحترام والتبجيل . وهبطنا بحميرنا في نقيل (عقبة) بني بكر ذات الانحدار الشديد ولا تزال في العقبة بقايا احجار مرصوصة رصاً محكماً لطريق قديم قيل ان الذي انشأه الشيخ صلاح بن احمد مسمار الذي كان يحكم يافع بالنيابة عن امام اليمن القاسم بن محمد بن علي في أواخر القرن الحادي عشر الهجري .

ومن يقف على هذا المنحدر يقع نظره على بقاع لا نهاية لها ملأى بالصخور الرمدية الداكنة ، وفي المناطق المنخفضة عالم من الفتنة والجمال فتسطع الشمس باشعتها اللامعة على الوادي الساكن الهادىء وتنتشر فيه اشجار النبق والبن والبوص ، يخترقه خط ابيض هو قاع السيل . هذا هو وادي حطيب . في بطن وادي حطيب وتحت شجرة نبق جلسنا وشربنا قهوة قدمها لنا آل العيساني من سكان الوادي . وبعد ساعة استأنفنا السير وبدأنا نصعد نقيل ذبوب وقد بدأت الشمس تتبوأ مقعدها في كبد السماء فتتساقط اشعتها عمودية علينا ولذلك شعرنا بحرارة الجو ولا غرو فنحن هنا في واد عميق تحيط به جبال صخرية شاهقة . ومما يلفت

النظر هنا وضوح طبقات الجبـــال فهي مركبة من صخور نارية تعلوها طبقة من الحجر الجيري من العصر الجوراسي وتلي هذه طبقة من الصخر من العصر الطباشيري ثم قشور اردوازية وجيرية وتتكون الطبقات الحديثة من الطمي والرمل ، وفي بطون الوديان من الرواسب الغرينية .

بعد ثلاثة ساعات وصلنا قمة العقبة سيرا على الاقدام . وعلى الرغم من ان بعض الطريق مرصوص بالحجر وعلى الرغم من اننا كنا نتوقف قليلا للاستراحة الا اننا لاقينا تعبا ومشقة وذقنا آلام العطش والحر .

في سفح الجبل وجدنا خزانا منحوتا في الصخر مليئا بماء المطر وقد جلسنا حوله نستعيد نشاطنا واخذ رفقاؤنا يدخنون الشيشة وتسمى في يافع (المداعة) . وعلى مقربة من الخزان وقف راع وراعية وخلفهما قطيع من الاغنام وقد ذكرني شكلهما والحمرة التي تعلو وجهيهما برعاة الاغنام في أرياف نابولي بايطاليا حين زرتها في فبراير عام ١٩٥٠ م .

الحضارم

بعد نصف ساعة غادرنا الخزان واجتزنا طريقا مهدا حتى وصلنا الى الشبر قبيل غروب الشمس . نزلنا في دار الشيخ محمد بن محسن الحضر من شيخ الحضارم ، ودار الحضارم متناثرة وتتكون المباني من دورين الى خمسة ادوار وهي كغيرها من مباني يافع مبنية من الحجر المنحوت من التلال الصخرية المحيطة بهم ، ولقد احتفى بنا الشيخ محمد بن محسن وامتلأت داره بالوافدين من الحضارم للترحيب بنا .

ذيصراء

وفي الساعة السابعة صباح الاثنين ١٣ شوال غادرنا الشبر وقطعنا

طريقا ممهدا ومررنا بمساحات واسعة من الاراضي الزراعية التي تروى بماء الآبار الارتوازية وقد شاهدنا نساء ينزحن الماء من الآبار لري الذرة والبرسيم وهي عملية شاقة للجنس اللطيف ولكن المرأة اليافعية تعتبر نفسها شريكة الرجل في اعماله وكفاحه من اجل الحياة .

بعد ساعتين وصلنا ذيصراء عاصمة الضبي فاستقبلنا جماعة من آل عاطف جابر وعلى رأسهم الشيخ صالح بن سالم بن عاطف جابر سيد الضبي واطلقت العيارات النارية ترحيبا بقدومنا . نزلنا في دار الشيخ صالح بن سالم بن عاطف جابر وهو من ابرز الشخصيات في يافع ، ذكي نافذ الذكاء ولكنه هادئه في الوقت نفسه ، حليم شديد الحلم لا يعرف الطيش ولا التعجل ولا الاندفاع ، وكثيرا ما تعتبر اراؤه حلا للمشاكل المعقدة والقضايا الغامضة ، وكنا اردنا الرحيل صباح الثلاثاء ، ولكن مضيفنا منعنا عن ذلك واصر في المنع وأقسم ان نبقى يوما آخر ولم نجد بدا من التسليم لارادته على الرغم من ضيق الوقت .

مسجد النور

غادرنا ذيصراء صباح الاربعاء ١٥ شوال وأبى الشيخ صالح بن سالم ابن عاطف جابر الا ان يرافقنا الى مسجد النور حيث يقيم آل الحريبي . والطريق ممهد يخترق سهلا صخريا قطعناه في نصف ساعة سيراً على الاقدام .

ولقد استقبلنا آل الحريبي بكل حفاوة واطلقوا الاعـــيرة النارية ترحيبا لقدومنا .

نزلنا في دار الشيخ غالب بن عبد الله شيخ الحريبي ثم انتقلنا الى منزل الشيخ حسين الحريبي .

ومسجد النور بلدة تتكون من مجموعـــة من المنازل العالية يحيط

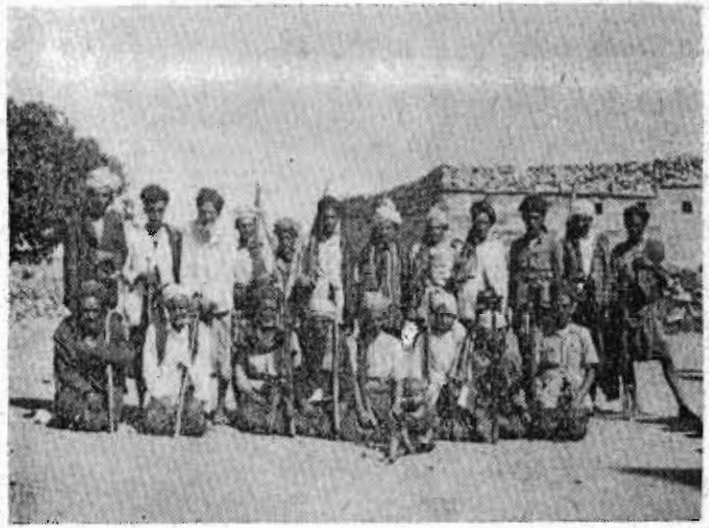

آل الحربي

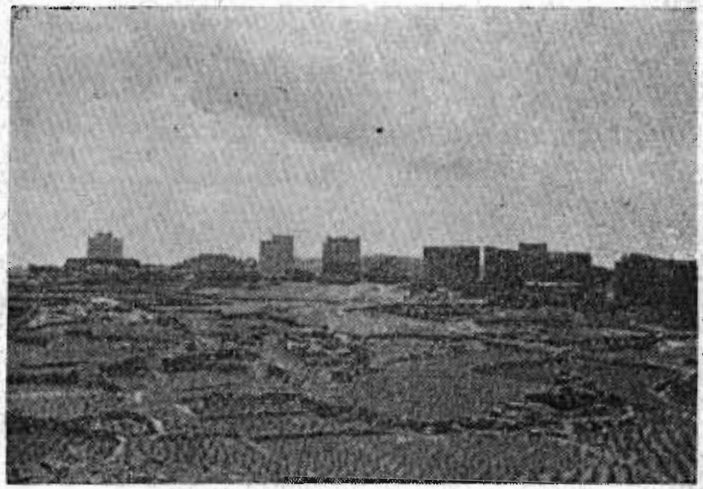

بلدة مسجد النور

بها اراض زراعية خصبة وعلى مقربة منها تقع مدينة إرب الأثرية التي يرجع عهدها الى ما قبل الاسلام ، وقد اثرت فيها عوامل التعرية فمحت معالمها ولا تزال هناك مجموعات من الاحجار متناثرة وهي بقايا بيوت كانت آهلة بالسكان ، وبالقرب من دار الشيخ علي بن حسين الحربي توجد مقابر اثرية منحوتة في الصخر ، ومما تجدر الاشارة اليه ان اتجاهها الى غير القبلة يدل على انها مقابر قديمة ترجع الى عصر ما قبل الاسلام .

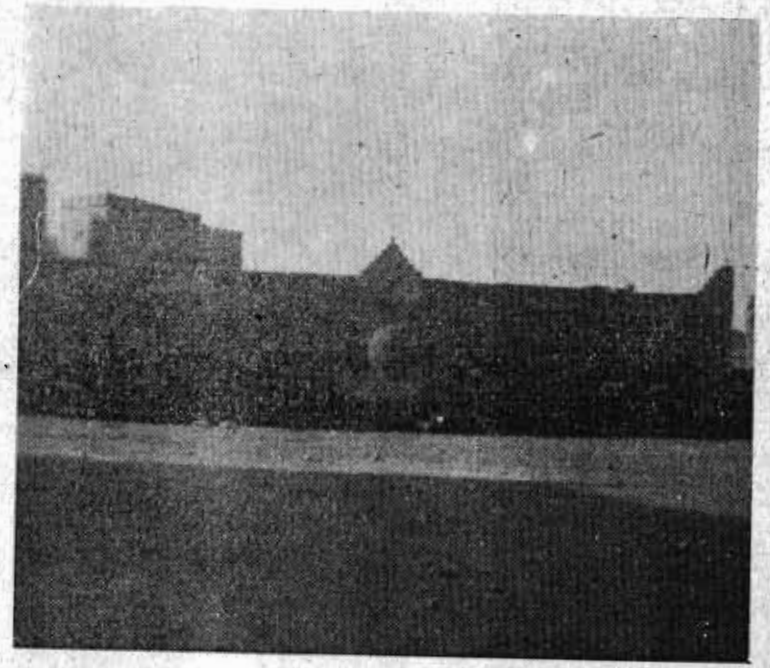

حائط

زرنا مسجد النور الذي سميت البلدة باسمه والذي بني سنة ١٠٨١ هـ حين كانت يافع خاضعة لليمن . والمسجد مبني من الحجر ولذلك لايزال سليما ويستعمل للصلاة وفي جانب منه شاهدت جمعا من التلاميذ والتلميذات

وبينهم معلمهم يعلمهم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب والدين . ولقد سررت لهذا المشهد الذي هو الاول من نوعه في يافع ، فالبنات يتعلمن مع البنين جنباً الى جنب ، وسررت اكثر لاهتمام بعض الآباء بتعليم بناتهم ، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وبلدة مسجد النور تتوسط بلاد يافع العليا ، ولذلك اتخذها الامام القاسم بن محمد مقراً لحكمه . ولا تزال الدار التي اتخذها مقراً للادارة قائمة حتى الآن .

وفي صبـــاح الخميس ١٦ شوال ، وقبل ان نرحل الى القدمة جاءنا رسول من السادة آل هرهرة سكان المحجبة يطلبون زيارتنا لهم ، ولقد وعدتهم بالزيارة عند العودة من القدمة اذ اني قبل ذلك ارسلت خطابا لشيخ الموسطة بالزيارة في يوم الخميس ولذلك لم استطع تغيير او تعديل الرحلة . ولكن آل هرهرة أوّلوا هـــذا الوضع تأويلاً آخر ، اذ ظنوا ان زيارتي للقدمة قبل المحجبة اهانة لهم لأن المحجبة اقرب لمسجد النور من القدمة ولذلك ارسلوا رسولاً آخر الى القدمة يعتذرون عن قبول زيارتنا لهم لغياب عظمة السلطان .

سوق الصيرة

غادرنا مسجد النور الساعة الثامنة صباحاً سيراً على الاقدام اذ ان الطريق ممهدة لا عقاب فيها ولا تلال ، وفي الساعة التاسعة وصلنا الصيرة وكانت مزدحمة بالناس ، اذ وافق قدومنا يوم السوق التي تقام يوم الخميس من كل اسبوع فتجتمع فيه فخائذ كثيرة من الموسطة وغيرهم من قبائل يافع وتعرض فيه انواع مختلفة من السلع وهي اشبه بمؤتمر اسبوعي . لذلك ينتهز شيخ الموسطة الشيخ احمد بن ابي بكر النقيب هذه الفرصة فيجمعهم في ميـــدان السوق ويتحدث اليهم فيما يصلح شأنهم ويرفع مستواهم ،

لقد استقبلنا في الصيرة اكثر من الف مسلح من فخائذ الموسطة وغيرهم وأطلقت آلاف الاعيرة النارية ترحيباً بقدومنا ، وتنافس الشعراء في القاء القصائد اثناء سير الموكب (الزامل) .

وفي ميدان الصيرة حيث تحتشد الجموع الغفيرة وقف سيد الموسطة الشيخ احمـــد ابي بكر النقيب وقدّمني لهم في كلمة مختصرة جمعت فأوعت . ووقفت بعده وشكرت القوم على ما أظهروه نحوي من الاحترام والتقدير وما قاموا به من الحفاوة والتكريم ، وانتهزت هذه الفرصة فاوضحت لهم ما تعانيه بلاد يافع من جهالة عمياء وتأخر شنيع في جميع مرافق الحيـــاة ودعوتهم الى جمع الكلمة ولمّ الشعث وتوحيد الصفوف ونشر التعليم .

جانب من القبائل التي احتشدت لسماع خطبة المؤلف في سوق الصيرة

ذهبنا بعد ذلك الى منزلنا قاضي الصيرة الشيخ عبد الباقي بن سالم الحوثي وكان غائباً ولكن اخاه الشيخ سعيد سالم استقبلنا بالنيابة عنه ،

عليها كتابات حميرية وانه أهدى هذه اللوحة الاثرية للسلطان عيد روس بن محسن العفيفي سلطان يافع السفلى .

وعدنا الى منزل النقيب وقد لفظ النهار انفاسه وبدأت كتائب الظلام تتلاحق فشملت الكون واحتوى القدمة سكون عميق .

كان جالساً جلسة حزينة عليها مسحة من الكبرياء عاقداً يديه تحت صدره، وعلى وجهه ابتسامة حـــائرة تفصح عن صراع بين إباء يشتد ، ورغبة تستعر .

– فيما تفكر ايها الشيخ الجليل ؟

قال : محاولات الانجليز وجهودهم لاحتلال يافع .. وسكت لحظة ساد السكون فيها ، ثم انبرى للحديث قائلاً : ... وقومنا ساهون لاهون عما يرفع مستواهم ويرقي بلادهم الى المكان اللائق بها .

هذه الآلام تتنازع سيد الموسطة كما تتنازع قادة الضبي ولبعوس والمفلحي وغيرهم من مشايخ القبائل اليافعية .

وسألت النقيب مرة ثانية :

– هل هناك خطر من الغرب ؟

اقال : لا ، فالامام لا يضمر لنا شراً ولا يحمل كرهاً ولكن حين يرى الانجليز يتوغلون في حدودنا فمن المتوقع ان يهجم علينا ليبعدهم عن حدود اليمن .

قلت : أليس من الحكمة ان تمد اليمن قبائل يافع بالاسلحة والذخائر والمؤن لتصد هجمات الانجليز ؟

قال ثالث وكان جالساً بجواري : ان الامام يخشى ان تستعمل يافع السلاح ضده .

قلت : اذن يافع بين خطرين ... وفجأة دخل علينا رسول من المحجبة يحمل خطابا لنا من آل هرهرة يعتذرون فيه عن قبولهم لزيارتنا

بسبب غياب السلطان .

وانتقل حديثنا من السياسة الى الطقس واعتدال الجو وخصوبة الاراضي ، واسدل الليل ستاره وخيم الظلام على القدمة وقضينا زلفا من الليل في سهرة ممتعة واحاديث مختلفة ، واستمعنا الى «صوت العرب» وكان يهز الفضاء هزاً ويثير في النفوس حب الكفاح والنضال ، ثم اتخذ كل منا مكانه ونام .

ولما دنا الليل من ختامه نهضنا للصلاة ثم تناولنا الفطور .

أردنا الرحيل صباح السبت الى الجهاورة ، ولكن الشيخ حسين صالح النقيب اصر واقسم ان نمكث اليوم كله في منزله ولم نستطـــع الاعتذار . والشيخ حسين من الشخصيات المحبوبة وقد عرفناه في اندونيسيا حيث كنت هناك لغاية سنة ١٩٣٠ وكان عضواً عاملاً في الجمعية اليافعيـــة التي انشأناها هناك وهو من الشخصيات البارزة التي يؤخذ رأيها في اصلاح ذات البين .

الجهاورة

وفي صباح الاحد ١٩ شوال غادرنا القدمة الى ضيق (دار السنية) حيث يقيم الجهاورة ، ولقد رافقنا الشيخ احمد بن ابي بكر النقيب . الطريق وعرة وبخاصة قرب ضيك فهي تنحدر هناك انحداراً شديداً ، وفي بطن الوادي تقوم مجموعتان من الدور ذات الاربع طبقات ومنها تتكون بلدة ضيق أو دار السنية . ولقد استقبلنا الجهاورة بحفاوة بالغة واطلقوا الاعيرة النارية ترحيبا بقدومنا .

نزلنا في دار الشيخ علي محسن الجهوري فاحتفلوا بنا كثيرا وقضينا سهرة ممتعة تجاذبنا فيها اطراف الاحاديث مـــع السادة محسن حسين الجهوري وعبد الله عبد القوي وصالح عبد القوي وغيرهم من رجالات

الجهاورة ويخيل لمن يدخل ضيق انه في عزلة عن العالم فالجبال الشاهقة تحيط بالبلدة والسكون العميق يملأ هذا الوادي ولكن الراديو يقلل من هذه العزلة الصامتة وهذا السكون العميق .

الجُرْبَة

في صباح الاثنين ٢٠ شوال اتخذنا طريقنا بين التلال الشاهقة ثم اخترقنا حقول الذرة وبعد ساعة ظهرت مدينة الجُرْبَة حيث يقيم آل المفلحي وفجأة سمعنا صوت انفجار هزّ الفضاء المحيط بالجربة ومزق السكون العميق الذي يخيم على هذه الاخاديد السحيقة وحينما سألت رفقائي قالوا انها طلقة مدفع تحية بقدومنا .

وعندما اصبحنا على مقربة من المدينة اخذت المدفعية ترسل طلقاتها في جو السماء وهي ٢١ طلقة ، واجتمع اكثر من الف مسلح خارج المدينة .

واستقبلونا بزامل عظيم ألقيت فيه قصائد الترحيب واطلقت آلاف الاعيرة النارية استبشارا لقدومنا .

وأمام دار الشيخ عبد الحميد بن عبد الرحمن المفلحي احتشدت الجموع الغفيرة والتفت الساق بالساق والقيت كلمة شكرت فيها آل المفلحي على هذه الحفاوة البالغة التي قابلونا بها وعلى هذه المشاعر النبيلة التي غمرونا بها كما وجهتهم الى الاهتمام بتعليم اولادهم والعناية بمستقبلهم ليواجهوا الحياة بسلاح العلم والمعرفة .

ورد على كلمتنا الشاب المثقف الشيخ صالح بن عبد الحميد المفلحي بكلمة شكر وترحيب .

نزلنا في دار الضيافة وفي مقدمتنا الشيخ عبد الحميد بن عبد الرحمن المفلحي نائب شيخ آل المفلحي وهو من اقوى الشخصيات اليافعية

واكثرهم حماسة وغيرة على القومية اليافعية وهو حين يتكلم يبدو في حديثه بسيطاً الى أقصى حدود البساطة حتى ليدهش رائيه اذا لم يكن لديه سابق تعارف أو اذا لم تكن لديه فكرة عنه ، لهذه البساطة الحبيبة كيف جمع صاحبها في يديه النفوذ على قومه وكيف ظفر بشخصية قوية تفرض على الناس احترامها . .

وسرعان ما اكتظت الدار على سعتها بالناس والكل آذان صاغية لما نسديه لهم من نصائح وما نقدمه لهم من انباء العالم العربي . ولقد لاحظت في كل المجتمعات السابقة من بني بكر الى الجربة ان اليافعيين يهتمون بانباء العالم العربي كل الاهتمام ويتمنون من اعماق قلوبهم ان تحقق الوحدة العربية كل الاماني والآمال . ولم يكن هذا الشعور القومي نتيجة دعاية قام بها العرب . كلا ، فالدول العربية ساهية لاهية عن جنوب الجزيرة العربية ، وانما هو ناتج عن الروح الدينية المتغلغلة في هؤلاء الناس . ولو انهم وجدوا من ينمي هذه الروح فيهم ويغذيها بكل الوسائل الممكنة لكانت روحهم العربية أقوى واشد مما هي عليه الآن . والجربة مجموعة من الدور ذات الطبقات العالية تقع على تل صخري تحيط به اخاديد عميقة مليئة بنبات الذرة .

العودة الى عدن

كنا أردنا السفر الى حَنَّة بلاد آل المفلحي السفلى ولكن وجود العقبات الكأداء ووعورة المسالك كل ذلك جعلنا نعدل عن الذهاب الى حَنَّة من الجربة .

وأصر الشيخ عبد الرحمن عبد الهادي المفلحي على ان يدعونا الى داره للغداء والعشاء والمبيت ولكن استطعنا بعد محاولات ووساطات

ان نعتذر لهذا الشيخ الكريم كما اعتذرنا عن اجابة دعوات اخرى لشخصيات بارزة في بلاد المفلحي . والشيخ عبد الرحمن عبد الهادي من اشد اليافعيين حماسة وغيرة على يافع ومن انشطهم عملا للنهوض بها . وقد رافقنا هو والسيد صالح بن عبد الحميد المفلحي الى حدود الجهوري حين غادرنا الجربة .

وانضم الينا في الرحلة الاستاذ حمزة عمر المفلحي وهو مدرس بمدارس المملكة العربية السعودية بجده ، جاء الى يافع لزيارة أهله في خلة وقد أتى الى الجربة ليشاركنا في رحلة يافع .

وهو خبير بشؤون البلاد اليافعية فقد قضى بها ردحاً من الزمن واشتغل بالتدريس في الجربة كما رافق الدباغ في حركته السياسية التي قام بها في جنوب الجزيرة وذاق الامرين وكان وفياً لاستاذه فعندما وافاه الاجل بذل الاستاذ حمزة مجهوداً كبيراً في المحافظة على زوجة الدباغ واولاده واعادهم الى الحجاز مكرمين . والاستاذ حمزة طلق المحيا مشبوب الترحيب يلقاك كأنه أخ لك من قديم وعلى الرغم من نحافة جسمه فانه نشط سريع الحركة يقفز على الصخور ويجتاز العقاب كالريم .

لقد اخترقنا طريقاً آخر الى القدمة وكانت بمهدة صالحة لسير السيارات اذا عُبِّدَت . وبعد حوالي ساعة ونصف ساعة وصلنا القدمة ونزلنا في دار سيد الموسطة الشيخ احمد بن ابي بكر النقيب وفي صباح الاربعاء ٢٢ شوال غادرنا القدمة الى ذيصراء وقد رافقنا الشيخ حسين بن سالم بن عاطف جابر فاستقبلنا بما عهدنا فيه من الكرم والنبل والشهامة .

هَجْر لَبعُوس

وفي صباح الخميس ٢٣ شوال ذهبنا الى هَجْر لبعوس واخترقنا

طريقا ممهدة قطعناها في نحو ساعة وكان يرافقنا الشيخ صالح بن سالم بن عاطف جابر والشيخ حسين بن صالح النقيب وعلي عبد الرب بن عاطف جابر وهو اصغر جندي في العالم فهو يحمل السلاح ويجيد ضرب النار ولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره .

الشيخ محمد بن محسن الضباعي
شيخ لبعوس

استقبلنا جماعة من لبعوس بحفاوة بالغة واطلقوا عشرات العيارات النارية ترحيباً بقدومنا . نزلنا في دار الشيخ محمد بن محسن الضباعي شيخ لبعوس وقضينا سهرة ممتعة كنا نستمع في خلالها الى المذياع وبخاصة « صوت العرب » الذي يفضله القوم في يافع على غيره من الاذاعات .

مسجد النور

أصر الشيخ علي بن محسن الحريبي حين كنا في ذيصراء على ان نزوره بمنزله ولم نجد بداً من اجابة طلبه وتحقيق أمله فقد ذهبنا صباح الجمعة الى مسجد النور ونزلنا في داره وأدينا صلاة الجمعة في مسجد النور الأثري وقد جادت السماء بمطر غزير سالت له الاودية وبعد صلاة العصر خرجت اجوب مزارع الذرة بصحبة الشيخ علي بن محسن الحريبي وكان السيل يغمر المزارع والشمس وراء السحب فكان منظراً جميلاً رائعاً ذكرني بجبال قاروت في جاوه الغربية .

وفي المساء عاد الشيخ حسين بن صالح النقيب الى القدمة وعدنا نحن

الى ذيصراء ليلًا وقضينا البقية الباقية من الليل بمنزل الشيخ صالح بن سالم بن عاطف جابر

الى الزاهر مرة أخرى

نهضنا من النوم وقد تنفس الفجر وتدفقت جيوش النهار زاحفة وراء طبقات الظلام الهادئة الحلكة واصطبغ الافق بدماء الشمس الارجوانية. يا لروعة هذا المنظر الطبيعي في هذه البقعة العالية الشاحة من الدنيا.

وأبت شهامة الشيخ صالح بن سالم بن عاطف جابر الا ان يرافقنا لا الى آخر حدود منطقته ولا الى آخر حدود بلاد يافع ولكن الى داخل حدود اليمن .. الى البيضاء.

وتابعنا السير نذرع الطريق وقد صمتنا جميعاً من غير داع للصمت ولكن لم يطل هذا الصمت فقد اخذ الاستاذ حمزة والشيخ صالح يتحدثان في شؤون شتى وقد تركنا حميرنا تمشي خلفنا حاملة فرشنا وحقائبنـــا واخترقنا هضبة صخرية تشقها بعض المنخفضات الشبيهة بالاحواض تغطيها نباتات الذرة

ومن هذه الهضبة يمكن ان ترى بوضوح قمم جبال ثمر وحبه والعر وعند نهاية حدود لبعوس بدأنا نهبط في منحدر عظيم يقال له عقبة توزلي وهو يؤدي الى واد ضيق عميق غني بنبات الذرة واشجار النبق والبن. ولم نتمكن من رؤية هذا المنحدر الهائل الا عند اقترابنـا منه لأن هذه الهضبة الشاحة كانت تحجزه عنا. وتنحدر هذه الاسوار الجبلية انحداراً يبلغ نحو ثلاثة آلاف قدم. واخترقنا الوادي سيراً على اقدامنا واندفعنا صاعدين، وكلما تقدمنا أوغل الوادي في الضيق وعلى حافتيه تعلو القمم الشاحة وقد تساقطت منها احجار الى الوادي بفعل عوامل التعرية.

وبدأنا نصعد عقبة شرعة وهي أقل وعورة من نقيل بني بكر وذبوب

وتوزلي، بيد اني شعرت بتعب عظيم في صعودي فيها ولعل ذلك يرجع الى اني لم اذق للنوم طعماً في الليلة الماضية. وكان اسرعنا في السير الشيخ صالح والشيخ قحطان فقد سبقا جميع الرفاق الى قمة العقبة، وكنت انا والاستاذ حمزة متمهلين مترفقين نقف قليلًا لنسعى كثيراً ونحن نمد ابصارنا الى هذه الناحية او تلك لنرى هذا المشهد او ذاك من مشاهد جمال الطبيعة، نمد ابصارنا في هذه الناحية لنرى الاسوار الصخرية الشاهقة وقد علا بعضها نبات مختلف الوانه، تتدلى الاغصان الى اسفل لتلامس مجرى السيل، ونمد ابصارنا الى تلك الناحية لنرى زهوراً جميلة تحمل ابتسامة الشمس ورقة النسيم وهدوء الليل وربما انحنى احدنا فجأة الى

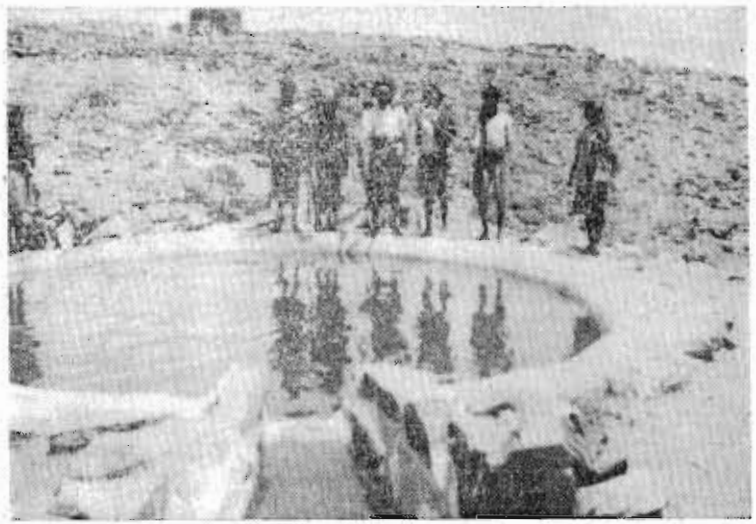

خزان من جبل العر وحوله الرفقاء ويرى في وسطهم
الشيخ صالح سالم بن عاطف جابر شيخ مشايخ الضي.

الارض لا يحاول ركوعاً ولا سجوداً وانما دعته هذه الزهرات الخضرات من زهور العشب الذي ينبت في اعقاب الغيث.

وفجأة قال لي رفيقي : .. لقد بلغنا نهاية العقبة . فتنفست الصعداء وقلت : هنا يجب ان نستريح برهة .

وهنا تمتد الطريق على سطح الجبال فانطلقنا فيها من غـــير كلل . ومررنا على خزان كبير مليء بماء المطر وحوله بعض الرعاة يسقون اغنامهم . وبدأنا نخترق طريقاً ممهداً مصعداً في جبل العَر ، ولكنه صعود متدرج لا مشقة فيه ولا تعب ، وعلى سطح الجبل امتدت انظارنا الى آفاق شاسعة . وفي مكان عال وعلى حافة واد عميق يقوم حصن العَر

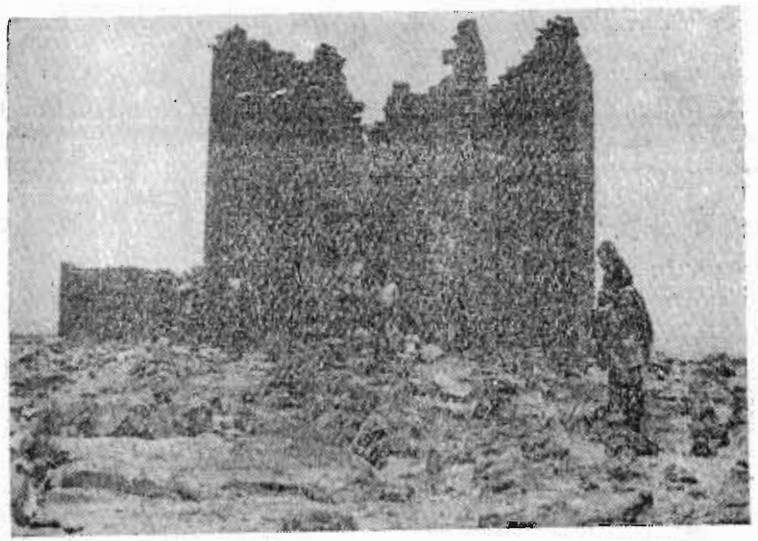

حصن العر

الذي بناه جنود الامام منذ ثلاثة قرون حين كانت بلاد يافع عهئذ تابعة لليمن وفي هذا الحصن حدثت معركة عنيفة بالسلاح الابيض بين جنود الامام وبين جماعة من يافع كانت المعركة الفاصلة وكان القصر فيها ليافع ، فعندما اشتد دفاع حماة الحصن نحتت جماعة من يافع ثقبا كبيرا في

الجبل حتى وصلوا الى الحصن من اسفله وقتلوا جنود الامام عن بكرة ابيهم .

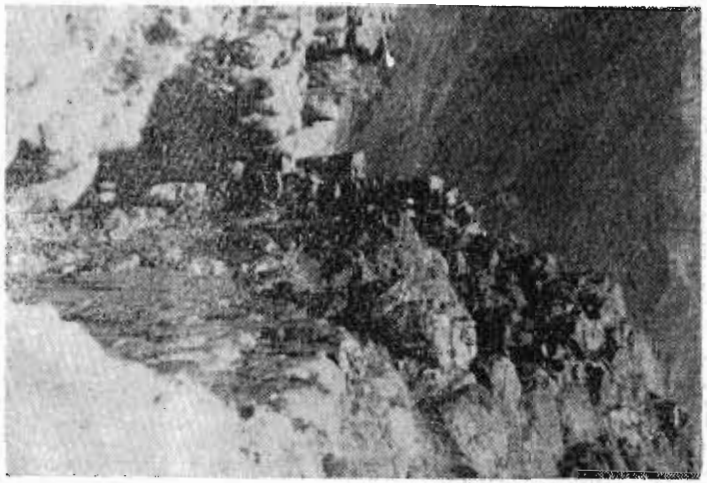

الثقب الذي نحتته جماعة من يافع في الجبل الى حصن العر

وعلى مقربة من جبل حِلْجَن توجد منطقة مسطحة هي اصلح مكان لانشاء مطار بيافع العليا . وظهر جبل حِلْجَن وعلى سطحه يقوم قصر السلطان .

بدأنا نهبط الى وادي الزاهر حيث تنتهي حدود يافع . ومن هناك تصبح الطريق مهـادا مخترقة اراضي زراعية خصبة بهـــا بعض آبار ارتوازية .

الزاهر

وهكذا اراد الله ان نعود الى الزاهر مرة ثانية . لقد وصلنا الى هذه البلدة المتواضعة قبيل الغروب ونزلنا في دار الشيخ الكريم سالم عبد

القوي الحميقاني فقابلنا بحفاوة لا تقل عن الحفاوة التي قوبلنا بها في المرة الاولى وقضينا سهرة ممتعة ثم نمنا نوما عميقا ؛ ولا غرو فقد اضنانا التعب بعد المشقة وطول المسافة فنحن بدأنا رحلتنا من ذيصراء عند مطلع الفجر ووصلنا الزاهر قبيل الغروب .

الى مكيراس

وفي صباح الاحد ٢٦ شوال غادرنا الزاهر في طريق سهل تجتازه السيارات بسهولة ، وعند حدود البيضاء ودعنا الشيخ صالح بن سالم بن عاطف جابر وشكرناه على حفاوته البالغة وقد اتخذنا طريقاً يتجه الى الجنوب الشرقي وقد استوت الشمس في كبد السماء ، ولكن الحر لم يكن لافحاً ومررنا بضياع جميلة مليئة باشجـــار الفواكه على اختلاف انواعها اهمها العنب والخوخ . وفي قرية قابل جلسنا تحت شجرة تين ضخمة قد تدلت من فروعها عناقيد العنب واضطجع كل منا في ظلها الممدود وحولنا اشجار مثمرة يانعة ونباتات غضة زاهرة والسحب القلقة الرخوة تتخذ افتن الاشكال واعجبها وشربنا قهوة هي اقل جودة من القهوة اليافعية ولعل هذا يرجع لا الى عمل القهوة نفسها ولكن الى نوع البن ، ويظهر ان جو وديان يافع أصلح وانسب لزراعة البن . وقابل قرية حقيرة لا شيء يلفت النظر فيها سوى هذه الحديقة .

بعد ساعتين غادرنا قابل واندفعت حميرنا تجري لسهولة الطريق ، وفي الساعة الخامسة مساء وصلنا مكيراس وهي قرية متواضعة منازلها ذات دور واحدة مبنية من الطوب النيء . ولا شيء فيها يلفت النظر سوى جوها المعتدل ونسيمها العليل وماؤها العذب ، وهناك بستان به انواع مختلفة من اشجار الفواكه كالتين والخوخ والعنب والسفرجل والبرقوق يروى بماء بئر ارتوازية والزراعة فيه تسير على احدث الطرق .

وترسل مكيراس بعض الفواكه والخضر الى عـــدن بطريق الجو . ويتوسط البستان قصر جميل . وعلى مقربة منه مدرسة مبنية من الحجر . ومنطقة مكيراس داخلة تحت الحكم الانجليزي ، ولا تزال جماعة من العواذل يبذلون محاولاتهم لاستردادها لذلك فالأمن مضطرب ليلاً ، وعندما يأتي النهار يتبدد الخوف وينتشر الناس في اطراف مكيراس حتى حدود البيضاء دون ان يعترض سبيلهم أحد .

ليلة الديك

... واخيراً استقر رأينا على شراء تيس صغير او دجاجة للعشاء ، فقد هجم الجوع علينا هجوماً عنيفاً ، ولعل جو مكيراس الجميل ساعد الى حد كبير على هضم ما في بطوننا من طعام . ولسوء الحظ لم نعثر على تيس صغير ولا كبير ! ولكن أحد السكان احضر لنا ديكاً ضخماً قد تدلى عرفه الاحمر القاني على احدى عينيه فحجبها عن الانظار وانكمش منقاره الطويل المقوس وتساقط كثير من ريش ذيله وجناحيه كأنه خرج من معركة حامية بينه وبين ديوك مكيراس . ولما ذبحه احـــد الجيران بخنجره الكبير وسلخ جلده الغليظ ظهرت اضلاعه الطويلة العريضة بارزة ، فقلت لصاحبي وقد وقف ينظر الى الديك بفم فاغر .. يظهر ان هذا الديك من مواليد القرن الماضي ، ولعله شاهد اول بيت بني في مكيراس ..

وأخيراً .. أحضرت لنا صاحبة البيت العشاء واستعد كل منا للأكل ما عدا السيد حمزة فقد فضل الصوم على الطعام لشعوره بتعب . وبدأت المعركة بيننا وبين لحم الديك ، وطالت المعركة وانتهت بهزيمتنا فقد كان لحمه اشبه بلحم جمل او جلد جاموس .

وهكذا استطاع الديك ان يهزمنا جميعاً في مماته كما كان يهزم

ديوك مكيراس في حياته .

في الساعة الثامنة من صباح الاثنين ٢٧ شوال غادرنا مطار مكيراس ، ومضت الطائرة تشق اجواز السماء في هدوء يلهب في الذهن الخيال وبعد نصف ساعة وصلنا مطار عدن فاستقبلنا الحر والغبار والسموم ، انه حر لافح يشوي الوجوه ويزهق النفوس . نزلنا في دار السادة آل العيسائي فقوبلنا بحفاوة بالغة وشوق ملتهب واخذ القوم وعلى رأسهم السادة علي ناجي وحسين عبد الله وعمر قاسم يسألوننا عن جو بلاد يافع وامطارها ومزارعها وأحوالها السياسية والاجتماعية . وعلى الرغم من ان بعضهم حديثو عهد بيافع الا انهم مشتاقون لاخبار بلادهم كل الاشتياق ولا غرو فإن للوطن حنيناً لا يخبو ويخمد الا بفناء الانسان حتى ولو كان حظ وطنه من الحضارة والرقي قليلا . واني لأذكر اني حين كنت في هلفرسم احدى مدن هولندا الجميلة ، وحين كنت في باريس كنت اشعر بحنين يزداد يوما بعد يوم الى مصر هذا الوطن الجديد الذي تعلمت في معاهده ونشأت تحت سمائه حتى تجاوزت الاربعين .

الى خَلَة

الطريق وعرة بين عدن وخلة وبخاصة في منطقة الضالع ومسيمير ولا بد لنا من سيارة قوية لاتتأثر بالصخور البارزة ولا المسالك الملتوية ولا الوهاد العميقة ولا العقاب الكأداء .

قال حمزة هذا رانصرف كالبرق الخاطف .

وبعد ساعتين اقبل وعلى وجهه دلائل النصر والفرح .

— ما وراءك يا عصام ؟

— لقد وجدت سيارة جديدة قوية تخترق الوهاد والتلال والجبال .

— لقد احسنت .

— ومتى يبدأ الرحيل ؟

— الساعة الرابعة من مساء اليوم .

عقب وصولنا الى خلة

واقبل مسعود عوض بسيارته الجديدة القوية ، والسيد مسعود من اكثر الناس خبرة بمسالك جنوب الجزيرة ، فقد اشتغل لدى الانجليز سنين عديدة وهو علاوة على ذلك مرح ذو شخصية محبوبة .

لحج

انطلقت بنا سيارة مسعود كالسهم ولم تتوقف الا فترات قصيرة عند الحواجز الجمركية وما اكثرها بين عدن والضالع . ها نحن في الحوطة عاصمة سلطنة لحج نمر بين بيوت متواضعة مبنية من الطوب النيء ويحتل قصر السلطان العظيم مساحة واسعة . والحوطة تشبه الى حد كبير قرية في

الريف المصري فاحراج النخيل تحيط بهـــا من كل الجهات وتكاد لحج تكون اخصب المناطق الجنوبية فتربتها تحتوي على كل عوامل الخصب .

وتتدرج سفوح الاراضي نحو البحر مكونة رؤوساً من الروابي النهرية وتنقسم لحج الى قسمين : شرقي ويسمى الوادي الصغير وكان يسمى وادي الزان ويبتدىء من قرية زائدة وينتهي بالقرب من قرية العماد . وغربي ويسمى الوادي الكبير ويبدأ من قرية زائـــدة ايضاً وينتهي عند مرسى التواهي بعدن وتخترق هذين الواديين وديان عرضية وطولية يقال لها اعيار . وتحتل غابات النخيل واشجار الفواكه ومزارع الذرة مساحة واسعة من اراضي لحج يرويها نهر تُبَن الذي يستمد مـاءه من وادي مسيلة بِلَه ومن روافد اخرى تأتي من داخل حدود اليمن .

وفي عصر التبابعة بني سد لحج العظيم وهو سد العرائس لحزن ميـــاه الوديان وتوزيعها على الاراضي الزراعية وليس لهذا السد أثر ولا يعرف مكانه بالضبط ولكن الامير احمد فضل العبدلي ذكر في كتابه « هدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن » أنه كان بالمسيد قرب العند حيث توجد احجار ضخمة مبعثرة في جوف الوادي . وفي لحج تكثر اشجار الموالح والخضروات والموز والعنب والتين وجوز الهند والمانجو والشيكو وهو من اشهر فواكه الهند وألذها طعما ، وتتكدس غلات لحج في اسواق عدن .

وقبائل لحج خليط من العجالم والجحافل والاعمور والحواشب والعقارب والابقور وذي أصبح .

وفي لحج من يافع مشايخ آل علي بصهيب والحرمان مشايخ آل قطيب . فالحرمان من آل الكساوي وآل علي من ذي ناخب . وكانت لحج تحت حكم الامير حسين بن عبد القادر اليافعي ولما احتلها احمد بن الحسن اليمني جاء الشيخ فضل بجيش من يافع وهجم على لحج واحتلها .

والمصاهرة بين امراء العبادل وامراء يافع معروفة . ولما قتل احمد بن صلاح السلامي انتقلت زوجته وهي من اميرات يافع باولادها الى يافع وقامت في خنفر .

وجاء في كتاب « نزهة الجليس وامنية الاريب الانيس » للشيخ العباس بن علي نور الدين المكي : ان آل سلام العبادل فخذ من يافع من قبيلة كلد وبلدتهم في يافع تسمى بركات غربي جبل فوجه .

اندفعت بنا سيارة مسعود في طريق ممهد تظلله اشجار كثيفة على الجانبين ويمتد الطريق مسافة طويلة في خط مستقيم .

وهبت عاصفة رملية عاتية وكادت ذرات الرمل تدفننـــا واستمر الصراع بيننا وبين العـــاصفة حتى مغرب للشمس ثم بدأنا نخترق هضبة صخرية تتخللها اخاديد . وفي الساعة التاسعة مساء وصلنا .

قرية ملاح

وهي قرية متواضعة بنيت منازلها من الطوب النيء وتتكون من دور واحد وقد اتخذنا سطح احد المنازل مكانا للجلوس والنوم واتفقنا مع الرفقاء على شراء حمل للعشاء وكان عشاء لذيذاً مكوناً من لحم طري ومرق وخبز مخبوز في التنور .

وكان النسيم عليلا والهدوء يسود كل شيء في القرية والنجوم ترسل انوارها الضئيلة على الفضاء الواسع فتضفي على الكون جمالا صامتا هادئاً فيه شفاء للاعصاب وبلسم للمشاعر والوجدان .

وكانت صاحبة البيت تأتي الينا من حين الى آخر تقدم لنـــا القهوة اللذيذة أو تحضر لنا الماء وتارة تنطلق في كلام طويل يمزق جمـــال هذا السكون الذي يحيط بنا . وكان رفيقنا السيد حمزة عمر المفلحي يصغي اليها باهتمام كثير فقلت لنفسي : ما اوسع صدر حمزة وما اكثر صبره

و اقوى احتماله لكلام النساء .

مضى من الليل جانب كبير واضطجع كل منا في فراشه .

وكنت مستلقياً على ظهري انظر الى النجوم وفيما انا غارق في لجة عميقة من التفكير إذ بشهب يهوي نحو الارض من أعالي الفضاء بسرعة جنونية تاركا خلفه خطاً طويلاً ابيضاً فانتصب أحد الرفقاء مبهوتاً وكان على مقربة مني .

— ما الذي ازعجك ؟

— هذا النجم الذي سقط .

— ليس هذا بنجم وانما هو من الشهب أو الرجوم أو النيازك .

قلت هذا وتهيأت للنوم ولكنه لم يتركني وشأني فسألني :

— إيه الشهب وليه تسقط من السماء الى الارض ؟

سؤالان هامان وعلى جانب من الصعوبة ولولا اني مدرس جغرافيا ومن عشاق هذا العلم لاجبته بالسكوت .

ولم أر بداً من الاجابة ... جلست القرفصاء قائلا بصوت خافت :

«الشهب قد تسقط وتصل الى الارض على شكل احجار . وعند ما نقل الرومان من بلاد اليونان (سنة ٤٠٢) قبل الميلاد حجراً سقط من السماء اعتقد الاغريق انه رسالة من (سيبيل) أم الآلهة (على زعمهم) وظل العلماء والفلاسفة ينكرون كل الانكار ان هناك احجاراً تسقط من السماء حتى اوائل القرن التاسع عشر حين امطرت السماء ببلدة L'aigle في فرنسا عدداً من الرجوم او النيازك (سنة ١٨٠٣) وقام العالم بابوت بدرسها وفحصها واثبت انها من مادة تختلف في التركيب عن المألوف في مادة الارض . ومنذ ذلك الحين اهتم العلماء بدراستها والتعرف على انواعها واثبتوا بالحساب الدقيق ان الفضاء يقذف كل عام الى جو الارض ما لا يقل عن سبعة آلاف مليون شهاب لا يصل منها

غير تام الاحتراق الى سطح الارض الا حوالي تسعمائة يضيع حوالي ثلاثة ارباعها في اعماق المحيطات واطراف القفار ولا يعثر الانسان كل عام الا على ثلاثة او اربعة ينقلها الى المتاحف ودور العلم حيث يوجد الآن زهاء الف نوع من الشهب اكبرها وزنا شهاب نقله بيري من جزيرة جرينلاند الى متحف لندن ويبلغ وزنه ٣٦ طنا ونصف .

اما سرعة سقوط الشهب فتتراوح بين ٢٥ و٨٠ ميلا في الثانية الواحدة . وقبل دخول الشهاب في جو الارض على ارتفاع يتراوح بين ٧٠ و٨٠ ميلا من سطحها تكون حرارته هي حرارة اعماق الفضاء التي تقدر بنحو ٤٥٩ درجة فرنهيت تحت الصفر فاذا ما اصطدم واحتك بالهواء ارتفعت حرارة سطحه فجأة الى مايقرب من سبعة الاف درجة فرنهيت فيشتعل سطحه ويحترق الهواء المحيط به على صورة هالة ضخمة .

ومن الشهب ما يتم احتراقه في رحلته فلا يصل الى الارض سالما .

وقد قسم العلماء ما بين ايديهم من الشهب ثلاثة اقسام:

١ - الشهب الحجرية .

٢ - « الحديدية .

٣ - « الحجرية والحديدية .

اما اصل الشهب ومصدرها فقد اختلف العلماء في ذلك : فجماعة من العلماء بجامعة هارفارد قالوا ان قرابة ٧٠ ٪ من الشهب يرد الى الارض من خارج المجموعة الشمسية .

ويقول جامو ان الشهب هي أشلاء كوكب كان قرب المريخ وقد تحطم هذا الكوكب لاصطدام احد اقماره به ، ويدلل على رأيه هذا بأن الحلقة المحيطة بكوكب زحل والتي يقال انها نتيجة اصطدام أحد اقماره به ، هذه الحلقة مكونة من ملايين القطع الصغيرة التي تشبه الرجوم .

ويقول آخرون ان الشهب من شظايا انقلاب المذنبات (comets)

ويؤيدون هذا بأنه على اثر انقلاب احد المذنبات بين سنوات (١٨٥٢ - ١٨٥٦) سقطت على المكسيك رجوم من الحديد سنة (١٨٨٥) .

وهنا رأيت صاحبي مستنداً بالحائط وقد استسلم للنوم . ولا شك انه لم يفهم شيئاً مما قلته فتركته وشأنه ونمت .

بعد فجر الاربعاء ٢٩ شوال غادرنا قرية ملاح وكانت الطريق ممهدة وعندما اوغلنا في وادي سيلة حردبة وجدنا انفسنا بين صفين من الاشجار وبعد نصف ساعة اخذ الوادي يضيق وتقترب السلسلتان الجبليتان من بعضهما واندفعت بنا سيارة مسعود صاعدة في نقيل حردبة (الحريبة) وفي نهاية العقبة تمتد هضبة بها مساحات من الاراضي الزراعيـــة تروى بمياه الامطار وتظهر قمم جبال حالمين وحرير وجحاف طاعنات في السماء.

– ها هي الضالع ... لقد اصبحنا على مقربة من خلّة .

والتفت الى مصدر الصوت فاذا بصديقنا السيد حمزه يبتسم . ولا غرو فخلة تبعد عن الضالع ١٣ ميلاً وبها يقيم اهله واولاده فلا غرابة اذا ابتسم او ضحك او رقص من الفرح .

اما انا فليس لي اولاد ولا زوجة ، والحمد لله ، لا في خلة ولا في غيرها من بلاد العالم فلا يهمني قرب خلة مثل ما يهم السيد حمزه . وغاية ما في الامر اني مشتاق لزيارة صديق عزيز كريم في خلة بلاد المفلحي السفلى ذلكم هو الشيخ قاسم بن عبد الرحمن المفلحي ومشتاق ايضاً لمشاهدة المناطق الأثرية التي تضمها تلال شُكُع .

وصلنا الضالع الساعة السابعة صباحاً ويظهر ان جوها رطب فقـــد شاهدنا قطرات الندى تتزاحم على اوراق نبات الذرة التي تحتل مساحات واسعه من اراضي الضالع .

ومدينة الضالع عاصمة بلاد الامير وترتفع حوالي ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر وتبعد عن عدن نحو ٩٦ ميلاً وتتكون المباني من دور الى

اربعة ادوار وهي من الحجر ولا تختلف عن المباني في بلاد يافع .

وآل قطيب وقبائلها من القبائل الضاربة على حدود اليمن وكان بعضهم ينهب القوافل بالقوة وقد عانت حكومة عدن الامرين في نشر الامن هناك .

استأنفنا الرحيل مخترقين سهلاً خصباً واسعاً حتى وصلنا خلة الساعة التاسعة صباحاً فاستقبلنا جماعة من آل المفلحي وعلى رأسهم الشيخ قاسم ابن عبد الرحمن المفلحي حاكم خلة بحفاوة بالغة واطلقوا العيارات النارية احتفاءً بقدومنا واتجهنا جميعاً الى المدرسة فاستقبلنا تلاميذهـــا في

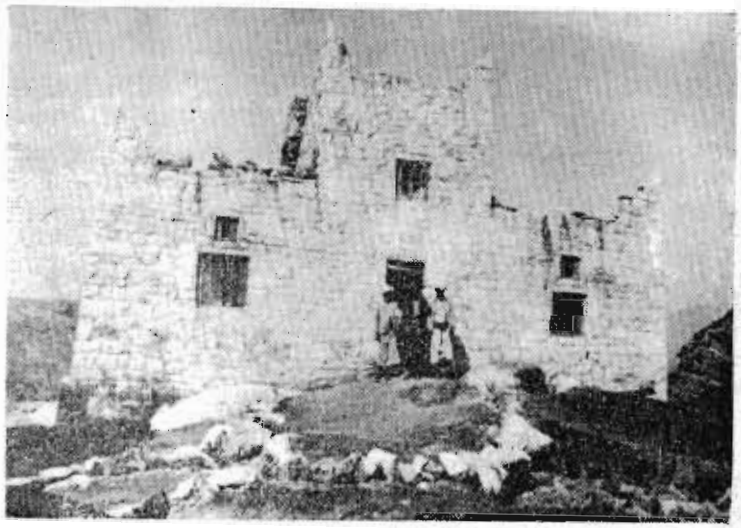

مدرسة خلة

صفوف منتظمة يتقدمهم ناظر المدرسة السيد سيف بن عبد القوي المفلحي والمدرسان سعيد ناجي وعبد الرحمن بن هادي وألقوا نشيداً حماسياً ثم صعدنا الى الطابق الثاني وهناك في غرفة اجتمعنا والقى ناظر المدرسة كلمة الترحيب بالنيابة عن الشيخ قاسم عبر فيها تعبيراً صادقاً عميقاً عما

تكنه قلوب آل المفلحي من الود والوفاء فشكرتهم على ذلك ودعوتهم الى العمل ومضاعفة الجهود لنشر التعليم وترقيته الى المستوى اللائق بهم.

ومما تجب الاشارة اليه ان المدرسة تهتم بالنشاط المدرسي فهنـــاك مساحة من الارض امام المدرسة معدة للقيام بالالعاب الرياضية . ولقد شاهدت بنفسي التلاميذ وهم يؤدون بعض الالعاب الرياضية تحت اشراف مدربهم . فسرني ذلك سروراً كثيراً .

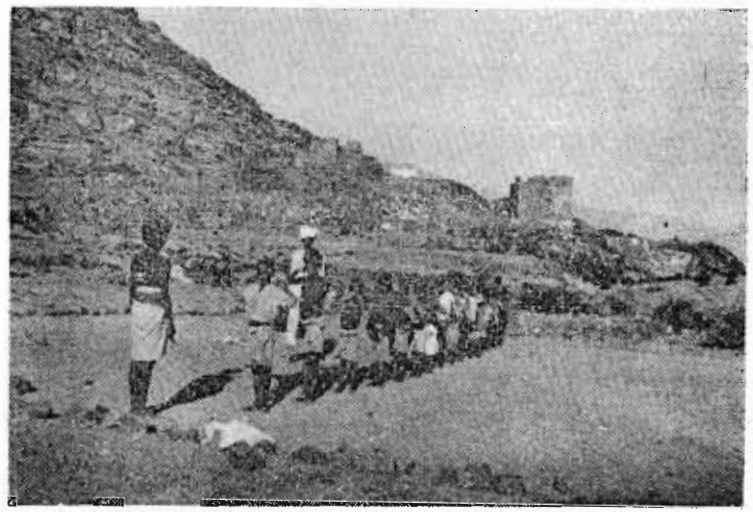

تلامذة مدرسة خلة اثناء القيام بألعابهم الرياضية

ومما تجدر الاشارة اليه ايضاً ان هناك على مقربة من المدرسة مستشفى ولكنه خال من المرضى

ولقد اختاروا لي مكاناً للنوم يحتل جزءا من سطح المدرسة وقـد احسنوا الاختيار فالمدرسة تقع على ربوة عالية تطل على خلة وامامهـا محيط واسع من الفضاء يمتد حتى حدود قعطبة .

وفي الليل فتحت الشباك والباب المقبل للشباك فاوجدت في الغرفة تيارا

قويا وجرى الهواء مع التيار وامتلأت الغرفة بنسيم رقيق ناعم وشعرت في هذا الصيف بنعمة الجو واخذت امارس الشهيق والزفير بعجلة ولهفة وفرح. كنت اشهق حياة وازفر حياة ولم ادرِ من فرط شوقي هل اتمتع بالنوم واحرم من الاحساس بالجو الجميل او اتمتع بالجو الجميـل واحرم نفسي من النوم ؟

ولم يكن لي ارادة في الاختيار فقد غلبني النوم على امري وصحوت في الساعة الخامسة صباحا . نمت سبع ساعات نوماً عميقاً لا ارق يصدع رأسي ولا عرق يلذع جسدي كما كان الحال في عدن او الحجاز. صحيح اني تلمست كتفي التي تعرضت للهواء وانا نائم فوجدت التيار قـد جرفها ... ولكن لا بأس ... فانه خير لي ان اعيش منتعشا بكتف واحدة من ان اموت مكتوم الانفاس ولي كتفان .

ارتديت ملابسي وجلست في شرفة الغرفة اتـــأمل اشعة الشمس وهي تلمس المروج الخضر والجبال الشماء .

شُكُع

تبعد شكع عن خَلَة حوالي سـاعة من الزمن سيراً على الاقدام وللوصول اليها لا بد من اجتياز عقبتين على جانب من الصعوبة.

ومنازل شُكُع لاتتجاوز عدد اصابع اليدين وتقع على تل صخري عالٍ تحيط بها اخاديد مزروعة ذرة وتلال صخرية شاهقة بها مقابر حميرية أثرية. ومشاهدة الآثار احب الهوايات الى نفسي ولقد ذهبت الى حضرموت في العام الماضي لمشاهدة الآثار في ريبون وغير ريبون وتكبدت لذلك مبلغاً من المال كنت في أشد الحاجة اليه وتحملت متاعب الشمس المحرقة في وادي حضرموت كل ذلك لاشباع هذه الرغبة او هذه الهواية وهي هواية مشاهدة الآثار القديمة والبحث عن معالمها والتنقيب عن مآثرها .

واذ كان هـــذا في حضرموت والمسافة بعيدة والتكاليف كثيرة والحرارة شديدة فكيف لااذهب الى شكع وغير شكع من بلاد يافع والجو معتدل والشقة قريبة والتكاليف قليلة . وليس هذا فقط فالناس هنا - كلهم من يافع - طوع امري ورهن إشارتي لاخوفاً مني ولاطمعا في " فلست ذا سلطة ولست ذا مال ، وانما هو الاخلاص والحب والولاء والوفاء.

وانطلقنا الى شكع وفي مقدمتنا الشيخ قاسم بن عبد الرحمن المفلحي سيد خله وهناك شاهدنا قبوراً أثرية محفورة في سفح تل صخري وكان اكتشاف هذه المقابر بطريق الصدفة . فقد كان أحد سكان شكع يحفر في قمة التل فعثر على عمق نحو متر ونصف متر على سيف محطم وخاتم من ذهب وعثر شخص آخر في مكان آخر من سفح التل على لوح من الرخام به كتابات حميرية.

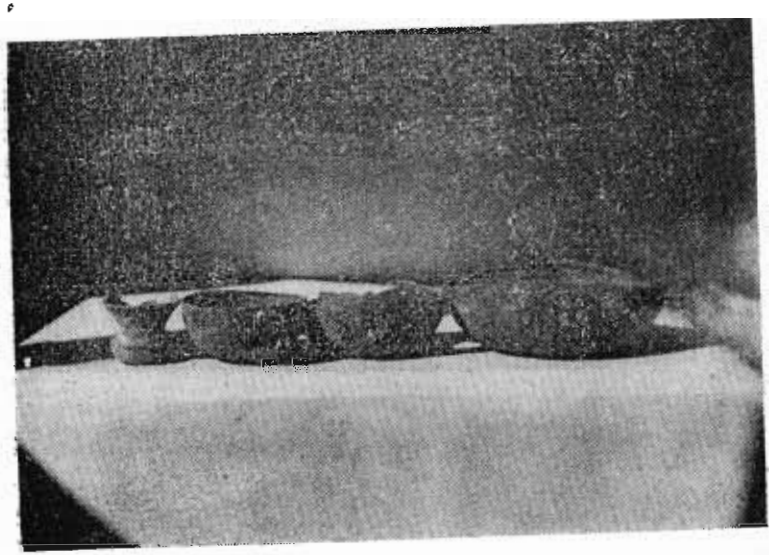

اوعية من البرنز

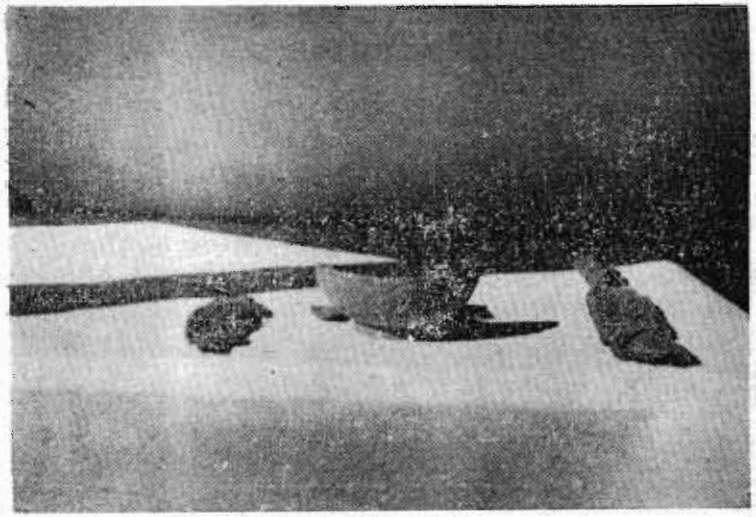

وعاء من البرنز وسيف من الحديد محطم

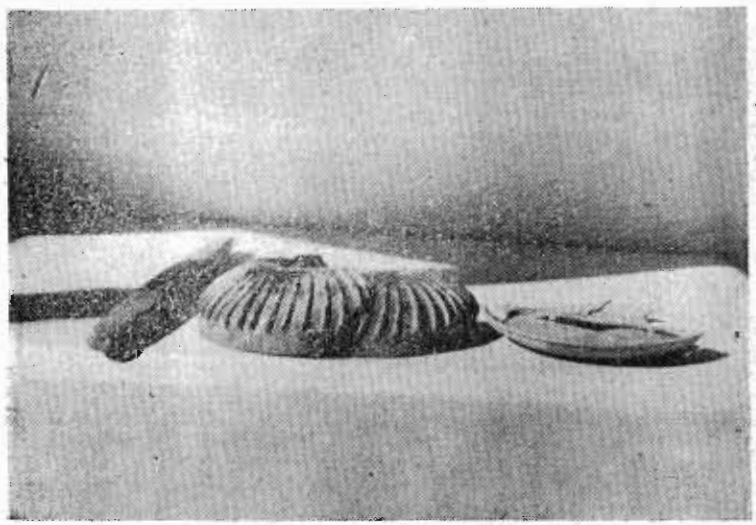

اناء وطبق من الزجاج الملون

كما عثرنا في مقـــبرة حميرية على اوان من البرنز قد علاها الصدأ وأوعية من الخزف والزجاج .

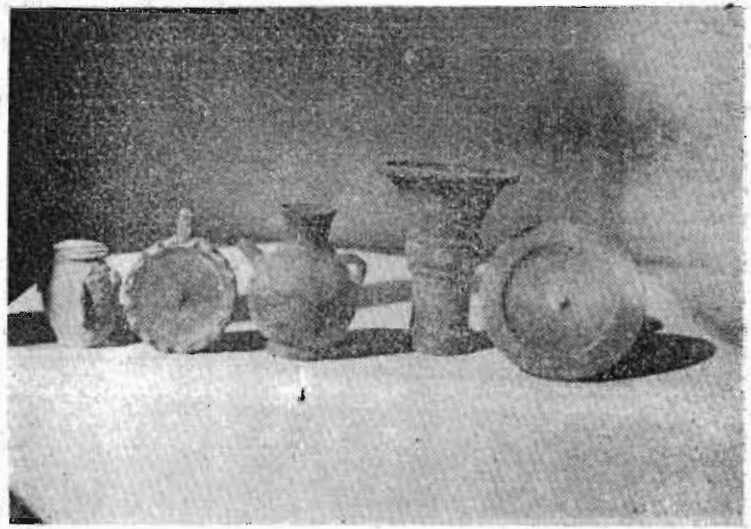

منجرة وخطاؤها من البرنز وابريق من الخزف

وصناعة «الخزف» عريقة في القدم ، فقد احتاج الانسان منذ أجيال بعيدة الى اوعية يضع فيها غذاءه وشرابه ، وكان الفخار هو أسهل مادة متوفرة لدية استطاع ان يتخذ منها هذه الاوعية ولازلنا حتى اليوم نستعمل الفخار في حياتنا اليومية لا فرق بيننا في ذلك وبين أجدادنا الذين عاشوا قبل التاريخ .

ولشدة اتصال الاواني الفخارية بحياة الانسان عني بدراستها علماء الآثار عناية كبيرة لأنها تعكس صور تطور الحياة .

فكلما تدرج الانسان في الرقي تدرجت معه هذه الاواني في سبيل الكمال فافتن في صنعها وزخرفتها وافرغ جهـــده في تجميلها وتنسيق الوانها حتى خرجت على يديه من سذاجتها الاولى ، بل وخرج هو بها عما

وجدت له في الأصل فاذا هي اليوم تتخذ مكانها بين التحف الجميلة .

والفخار هو الطين الذي يشكل باليد او على العجلة او في قوالب خاصة ثم يجفف ويسوى في افران خاصة ، وهو اذا غطي بطبقة زجاجية اصبح خزفاً . وهذه الطبقة الزجاجية قد تكون شفافة فتكشف عن لون الفخار او معتمة فلا تكشف عنه .

ولم تكن صناعة الاواني في العصور التي سبقت ظهور الاســـلام موضع رعاية الحكام والملوك لان اتخاذهم الاواني من المعـدن لا سيما الذهب والفضة لم يجعلهم يفكرون كثيراً في الاواني الخزفية التي كان يستعملها من هم اقل منهم مكانة .

اما في العصر الاسلامي فقد تغير الحال اذ أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم احاديث تحرم اتخاذ الاواني من الذهب او الفضة ، وسواء اصحت هذه الاحاديث ام لم تصح فقد كان لها من غير شك اثر في توجيه العناية الى صناعة الخزف ، وفي النهوض بهذه الصناعـــة الامر الذي كان من نتائجه ابتداع انواع جديدة من الخزف لم تكن معروفة من قبل اهمها الخزف ذي البريق المعدني .

لا شك ان منطقة شكع غنية بالآثار وقد طلبت السلطة الانجليزية من حاكم خلة الشيخ قاسم عبد الرحمن المفلحي الا يسمح لاي شخص بالحفر والتنقيب في هذه المنطقة الاثرية .

بعد ان تناولنا الغداء في منزل الشيخ عبد القوي الحاكم بالنيابة لمنطقة خلة غادرنا القرية شاكرين للشيخ عبد القوي احتفاءه بنا وودعنا السيد حمزة وعاد الى خلة وابى الشيخ قاسم الا ان يرافقنا الى الضالع . وفي الساعة الرابعة مساء غادرنا الضالع شاكرين للشيخ احمد قاسم بن عبد الرحمن المفلحي حفاوته البالغة بنا وشعوره الكريم النبيل .

انطلقت بنا سيارة مسعود كالسهم بين تلك التلال الصخرية الشاهقة

الشيخ قاسم بن عبد الرحمن المفلحي
شيخ قبائل المفلحي

والأخاديد العميقة . وفي نقيل (عقبة) الحريبة ارتعدت فرائص بعض الركاب ولكن مسعود عوض قاد سيارته بمهارة وبراعة .

انطلقت بنا في وادي حَوْدَبَة بين صفين من اشجار الاثل والنبق والبوص حتى وصلنا الى مسيمير ، وأبى مسعود ان يرتاح بعض الوقت في ملاح ذلك لأنه اراد ان يصل الى عدن قبل العاشرة مساء ولقد تحققت رغبته فقد اندفع بسيارته وهو يغني تارة ويقص علينا بعض ذكرياته تارة اخرى ، ولعله اراد بذلك ادخال السرور الى نفوس الركاب .

وكان منظراً جميلاً حين اخذت اشعة الشمس تلمس الفضاء الشاسع وتنفذ فيه وتعلو فوقه ثم تنسحب من الفضاء المحيط بنا رويداً رويداً ، وتتجمع كرة حمراء ملتهبة وتغرق الكرة .. تغرب الشمس في جو السماء .

ان غروب الشمس وانطفاء جذوتها واحمرار الشفق حولها يرهف شعوري كما لو كان لحناً موسيقياً قوي النغمات .

انها موسيقى تسمعها عيناي .

وصلنا عدن الساعة التاسعة مساء سالمين ونزلنا في دار السادة آل العيدروسي .

يافع السفلى

كانت النية معقودة لزيارة يافع السفلى بما فيها أبين اذ ان هناك قبائل يافعية كبرى كالناخبي واليزيدي والسعدي ويهر ، ولكن لسوء الحظ لم يكن في الوقت متسع فاضطررت لذلك ولظروف خاصة الى قطع رحلتي في بلاد يافع والعودة الى مصر .

والأمل قوي في زيارة يافع السفلى في المستقبل القريب لنؤدي واجبنا نحو هؤلاء الاخوان الكرام .

العودة الى مصر

وفي الساعة السادسة صباح يوم السبت ٣ ذي القعدة انطلق بنا السيد عمر قاسم في سيارته الى مطار عدن ومن ورائه السيد حسين عبـــدالله العيسـائي ولقد خيل اليّ ان كلا من الصديقين يريد ان يسبق الآخر بسيارته . فكلاهما منطلق كالسهم وفي بضع دقائق وصلنا المطار فشكرنا الله حيث وصلنا سالمين وشكرت الصديقين لما لقيته من الحفاوة البالغة والاكرام الواسع النطاق . وفي الساعة الثامنة حلقت بنا الطائرة المصرية تشق اجواء الفضاء في طريقها الى القاهرة .

حلم تحقق

بعد عودتي الى مصر في ذي القعدة سنة ١٣٧٣ بدأت في اعداد كتابي « في شرق اليمن » (يافع) للطبع ولكن حال بيني وبين ذلك المرض فقد قضيت اياماً في المستشفى وخرجت منه وانا فـاقد القوى وآن أوان السفر الى الحجاز للقيام بعملي كمدرس منتدب من قبل الحكومة المصرية ، لذلك أجلت طبع كتابي . وشاءت الاقدار ان اكمل رحلتي الى بلاد يافع السفلى إذ انتهزت فرصة اجـازة هذا الصيف . ولقـد شجعني على ذلك مالقيته من العناية والاهتمام والتشجيع من اخواننا يافع بجدة .

واشتاق السيدحمزة عمر المفلحي لرؤية اهله واولاده في خلة فجد عزمه ولقد احسن فقد كان خير عون لي في رحلتي الى يافع الساحل والى خلة .

اقلعت بنا الطائرة من مطار جدة صباح يوم الاثنين ٩ رمضان الى عدن وفي المساء وصلنا مطار عدن وبعد اتمام الاجراءات الرسمية ذهبنا

الطيارون من اليمين ناصر علي الهكلي ، صلاح البكري ، سيف بن جبران ، الحاج صالح ، الواقفون من

الى دار السادة آل العيسائي وبصحبتنا السيد محمـــد سعيد الباشا الذي استقبلنا بالمطار فاكرمنا السيد حسين عبدالله العيسائي واحتفى بنا اكثر مما يحتفي الاخ بأخيه .

كان الوقت آنذاك صيفا والجو حار وريح الصحراء اللافحة تسف الرمال وتقذف بها في وجوهنا وكان الصوم في هذا البلد شاقاً جـــداً لذلك ازمعنا واجمعنا على تقصير مدة الرحلة الى اقصى حد ممكن . وكنا اردنا الرحيل في اليوم التالي لوصولنا ولكن قيل لنا ان عظمة السلطان عيد روس بن محسن عفيفي اليافعي سلطان يافع السفلى قادم الى عدن فانتظرنا ثلاثة ايام فلما جاء تشرفنا بمقابلته واستأذنا من عظمته في السفر الى يافع السفلى فدار الحديث الآتي بيننا :

قال عظمته : ما الغرض من السفر الى يافع السفلى ؟

قلت : تأليف كتاب يسجل تاريخ يافع واحوالهم الحـــاضرة من كل الوجوه . .

قال : ما فائدتنا من هذا التاريخ ؟

قلت : ان يافع المسلمة التي تعيش حرة في بلادهـــا والتي تمثل في اخلاقها القبائل العربية الاصيلة ليس لها تاريخ يقرأه الناس .

وكرر عظمته السؤال فقال :

– ولكن ما الفائدة التي ستعود علينا من هذا التاريخ ؟

وتقدم الى عظمته او بعبارة اخرى تبرع للاجابة عني الشيخ احمد محمد بن سبعة رئيس نادي الاتحاد اليافعي بعدن قائلا :

– ان الاستاذ صلاح البكري يريد تأليف تاريخ ليافع يسجل فيه اعمالكم العمرانية في يافـــع الساحل وينشر صورتكم وصور المدارس والمستشفيات التي انشئت في عهدكم .

ولم يقتنع السلطان بهذه الاجابة وأخيراً أبدى عظمته استعـداده

لتقديم اثنين من جنوده لمرافقتنا الى القارة . ولكن عظمته أبدى عدم ارتياحه لسفرنا في هذا الوقت نظراً لاضطراب الامن في طريق القارة بسبب الفتنة القائمة بين الفضلي وفخيذة من يافع . وهو رأي سديد لذلك أجلنا السفر الى يافع السفلى وعزمنا على زيارة يافع الساحل – وهي أهم منطقة في يافع السفلى – والاتصال برجالات يافع البارزين لأخذ معلومات واضحة عن احوال يافع السفلى .

ولم تستمر اقامتنا بعدن اكثر من ليلتين فقد غادرناها الى أبين او يافع الساحل ورافقنا في هذه الرحلة الشيخ احمد محمد بن سبعة .

انطلقت بنا سيارة الجيب في طريق ممهد وارض منبسطة ولم تعترضنا صعوبات سوى حواجز نهر بنا الطبيعية الشائكة ، ولكن سيارة الجيب دون غيرها تتغلب على هذه الحواجز الطبيعية وتكتسحها .

وفي الساعة العاشرة صباحاً وصلنا الحصن ووجدنا هذه القرية المتواضعة غارقة في لجة عميقة من الصمت والهدوء فقد كان معظم السكان نائمين ، ولا غرابة فهم يسهرون في ليـــالي رمضان حتى مطلع الفجر . ولم نخبر أحداً بقدومنا لكي لا نقلق القوم بالاستقبالات والحفاوات ، وهكذا كان دأبنا في البلدان التي زرناها في شهر رمضان .

وليس هناك فندق في الحصن لذلك ذهبنا الى المسجد واخذنا نصيبنا من الراحة على الرغم من مضايقة الناس الذين كانوا في المسجد اذ أحاطوا بنا من كل جانب وامطرونا باسئلتهم ولم يشفقوا علي فيتركوني لحظة انام فيها . والغريب ان معظم اسئلتهم كانت حول جمـــال عبد الناصر وحول ما قامت به مصر من الاعمال في عهدها الجديد نحو شقيقاتهـــا العربيات . ولا شك ان للأذاعـــة المصرية وبخاصة « صوت العرب » أثراً كبيراً في هؤلاء القوم .

بعد ان ادينا صلاة العصر وكبنا سيارة الجيب الى مزارع ابين اليافعية

مدرسة الحصن

الحصبة وحقولها الخضراء ، وتوغلت بنا السيارة الى ما بعد باتيس . وتحتل الاراضي الزراعية مساحات واسعة من السهل الساحلي الواسع العريض .

ويقع اكثر من نصف هذه الاراضي الزراعيـــة في منطقة الفضلى والجزء الآخر داخل حدود يافع . ولقد وزع السلطان عبد روس بن محسن العفيفي كثيراً منها على المزارعين ، على ان يأخذوا نصف المحصول والنصف الآخر للمالك ولبيت المال . وهو ، أي المزارع ، حر في زراعة الارض ، وأهم الغلات : القطن والموز والبطيخ والذرة . وزراعة القطن

حديثة العهد وعليه تتوقف ثروة الاهالي .

وينتج الضمد الواحـــد المزروع قطناً من خمسة الى ثمانين فوسل .

ومساحة الضمد الواحد سبعون خطوة مربعة والفوسل ٢٨ رطلاً .

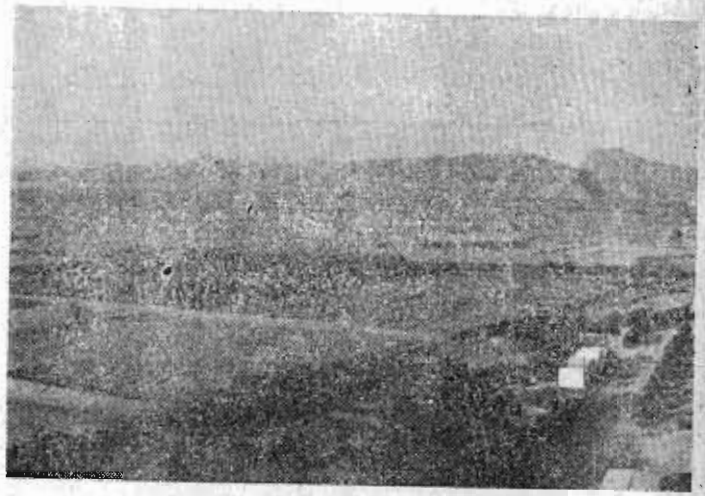

جانب من الاراضي الزراعية في يافع الساحل « ابين »

وعلى المزارعين ان يبيعوا محصول القطن للجمعيـــة الزراعية التي تقوم بري الارض بالثمن الذي تحدده . وهي ، اي الجمعية ، تأخذ مقابل الري ربع محصول القطن ومن غير القطن تأخـــذ اربعين شلناً على الضمد الواحد و ٨ شلنات لبيت المال وعشرين شلناً لصاحب الارض .

نهر بنـــا

ونهر بنا الذي يروي اراضي أبين ينبع من قرب بلدة يريم باليمن ويتجه شرقاً ماراً بالنادرة ودمت ذات المياه المعدنية والتي بناها الامير سيف الاسلام الحسن . ومن دمت ينحدر النهر نحو الجنوب الشرقي

مفقوداً والحياة رخيصة . وكانت مياه النهر تذهب الى البحر من غير جدوى . اما اليوم فقد اختفى ذلك التطاحن وحل محله الامن والسلام ولقد قامت الجمعية الزراعية الانجليزية التي تكونت منذ ١٣ عاماً بحفر الترع وانشاء السدود والخزانات ، ونظمت الري على احدث الطرق . واستغلت مياه النهر لمصلحتها ولمصلحة الاهـــالي احسن استغلال

تراكتور

وانشأت الطرق الزراعية للسيارات وغيرها ولا تزال اعمال الاصلاح والتعمير تشق طريقها في ابين بجد ونشاط .

بعد ان تناولنا العشاء غادرنا الحصن الى الرَّوَّا . انطلقت بنا سيارة

الجيب في طريق زراعي غير ممهد وكان الظلام حالكا والمروج الخضراء تعج بالصمت والعدم، وكان الرفقاء السادة احمد محمد بن سبعة وصالح عبد الرب بن مناش وصالح عبد اللاه عبيد يتحـــدثون بصوت يحطم ذلك السكون . اما السيد حمزة عمر المفلحي فقد كان على غير عادته قابعاً في ركن من السيارة غارقا في لجة عميقة من التفكير أو الصمت .

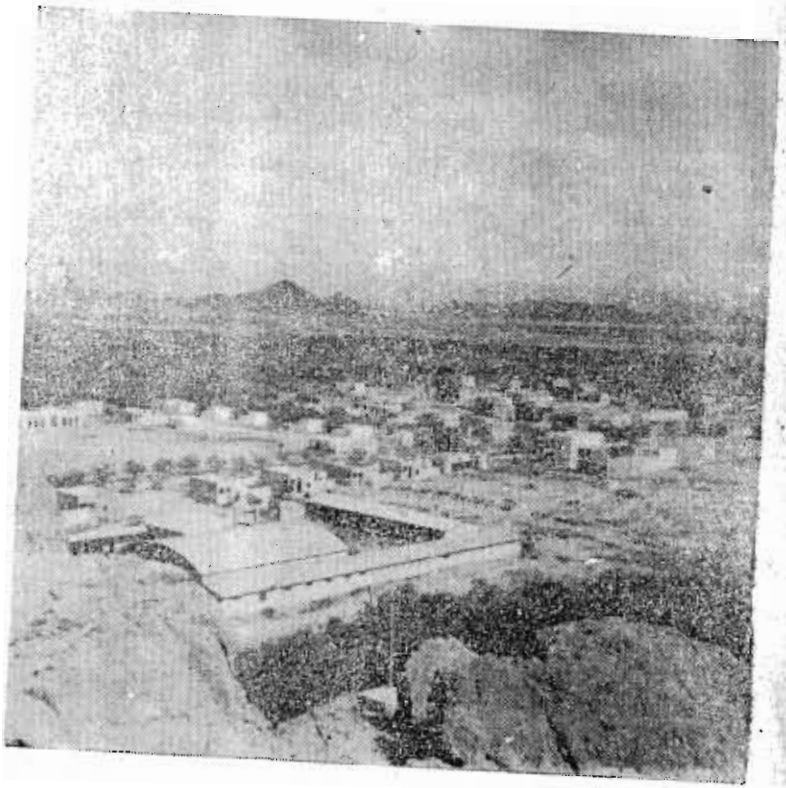

جعـــار

وصلنا الروا الساعة التاسعة مساء وذهبنا الى دار العاقل الشيخ محسن حسن بن عبيد المنصري فاستقبلنا بكل حفاوة وإجلال . والشيخ محسن

من ابرز الشخصيات اليافعية في يافع الساحل ومن اكثرهم نبلا وابعدهم نظراً وله مكانة مرموقة ومنزلة عالية بين مواطنيه .

كانت ساعات حلوة مرت في احاديث مختلفة وبعدان تناولنا السحور استأذنا من مضيفنا الكريم وغادرنا القرية الى وادي بنـــا حيث أدينا صلاة الفجر على الحصن الناعم وكان المنظر رائعا فمزارع القطن ونبات البوص والنبق تحتل مساحات على جانبي النهر وعـــلى مقربة من هذه المزارع تقف سلسلتان من المرتفعات الشاهقة الجرداء . وفي الساعة الثامنة عدنا الى الحصن ثم الى جعار .

جعار

وجعار احسن بلدة في يافع الساحل بها مدرسة ابتدائية مبنية عـلى احدث طراز وهناك سوق خاص لبيع الخضر والفواكه . وعـلى تل مرتفع تقوم دور جميلة لكبار موظفي الجمعية الزراعية من الانجليز وفي اسفل التل حديقة جميلة مليئة باشجار الفواكه وغيرهـا وملعب للتنس ومكان لاصلاح السيارات وعـــلى مقربة من التل يقوم حصن خنفر التاريخي القديم ولقد اخذت عوامل التعرية تهاجمه حتى فككته ولا بد ان يأتي يوم يصبح فيه كومـة من الثرى وفي جنوب خنفر مستشفى جديد انشأته سلطنتنا يافـع والفضلى وهو مجهز ببعض الآلات الطبيـة الحديثة ولقد زرنا المستشفى وشاهدنا المرضى والصيدلية وغرفة الجراحة ومعمل التحليل فسرنا كثيرا ما شاهدناه من النظافة والاهتمام بشئون المرضى . وحبذا لو يقوم المشرفون عـــلى المستشفى بزرع المساحات الخالية التي تقع داخل السور بالحشيش ونبات الزهور وبإنشاء حـديقة يستظل باشجارها المرضى والمريضات حين يغادرون سررهم للنزهة داخل

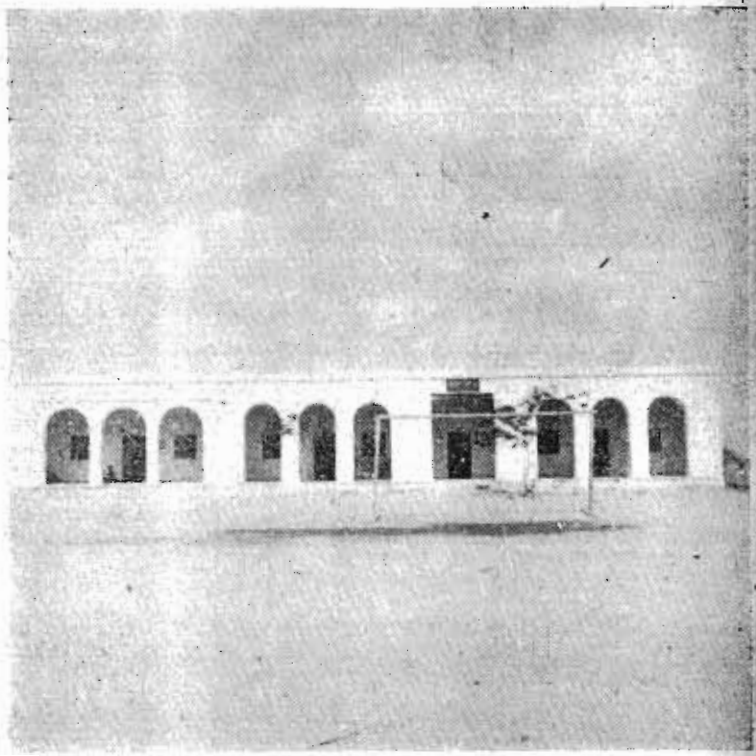

مدرسة جعار

المستشفى وليس ذلك عليهم بعسير فالتربة خصبة والماء متوفر .

مكثنا في جعار يومين كاملين وما اطولهما فالزائر لجعار لا يحتاج الى اكثر من ساعتين ولكننا اضطررنا للبقاء ريثما يعود السلطان عيد روس من عدن . وعندما جاء عظمته ، وبعد ان تناولنا العشاء في قصره بالحصن ، عدنا الى جعار ومنها الى عدن .

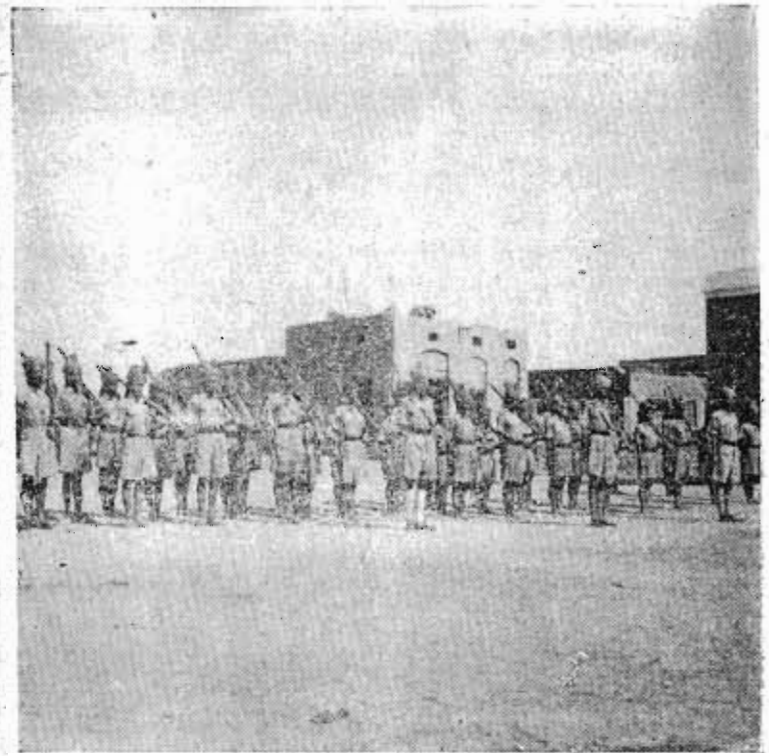

القوة النظامية في جمار

الشعيب

كان سرورنا عظيما حين أزمع السيد حسين عبد الله العيسائي مرافقتنا الى الشعيب ولقد غادرنا عدن بعد ان تناولنا السحور نتفادى حر الظهيرة ولكن الاجراءات في لحج عاقت بيننا وبين السفر مبكرين فقد وجدنا الناس هناك رقودا فاضطررنا للانتظار حتى مطلع الشمس . وهكذا مضت الليلة دون ان نذوق للنوم طعما .

انطلقت بنا سيارة الجيب ولما وصلنا الملاح فضلنا ان نرتاح هناك ثلاث ساعات فقد انهكنا التعب لقلة النوم ولانتظارنا ساعات في لحج .

وفي الساعة الثانية مساء غادرنا الملاح الى خلة . وللمرة الثانية نرى خلة عاصمة بلاد المفلحي السفلى ولقد كاد السيد حمزة يطير لشدة الفرح ولا غرو فهو هنا في خلة بين اهله واولاده .

وفي الصباح الباكر غادرنا خلة في طريقنا الى الشعيب وقد تسلح السيد حسين العيسائي ببندقية واخذيقفز الصخور بنشاط وجد على الرغم من نحافة جسمه والظاهر انه مولع بحمل السلاح ومغرم بالرماية . وقبل الرحيل قالوا لنا ان الطريق الى الشعيب على جانب كبير من السهولة فقوي عزمنا واشتدت رغبتنا لزيارة الشعيب ولكن ظهر لنا ان هذا بعيد عن الحقيقة . لقد اجتزنا عقاباً كأداء وصادفتنا هناك متاعب ومشقات لم أر مثلها في حياتي . فالممرات في عقبة او عقاب الشعيب ضيقة ملتوية وعمودية . ولقد توقفت عضلات رجلي مرارا عن التمدد الامر الذي جعلني اتخلف اثناء سيري عن الرفقاء من حين الى آخر . ولقد تأثر السيد حسين العيسائي حين شاهدني اكافح واناضل المتاعب بين الصخور البارزة الخشنة وكان احيانا ينقطع عن الرفقاء ليواسيني ثم يستأنف سيره ليلحق بهم .

وبعد صراع مع الطبيعة ثلاث ساعات وصلنا العوابل عاصمة الشعيب وذهبنا الى منزل مدير المعاوف فاحتفى بنا كثيرا ولقد حضر الشيخ قاسم المفلحي شيخ مشايخ المفلحي فكانت مفاجأة سارة جدا . وبعد العصر قمنا بجولة في البلدة وزرنا المدرسة وكان بصحبتنا الشيخ محمد الحلاقي وبعض شخصيات الشعيب .

بعد ان تناولنا العشاء في دار الشيخ محمد الحلاقي اخذنا نتحدث مع الناس الذين امتلأت بهم دار الشيخ الحلاقي على سعتها .

وتركت الناس ساهرين مع القات وحاولت ان انام ولكن من غير جدوى . وبعد ان تناولنا السحور استأذنا من مضيفنا الكريم الشيخ محمد الحلاقي وشكرناه على حفاوته بنا وغادرنا العوابل الى خلة وفي مقدمتنا الشيخ قاسم المفلحي .

الشيخ قاسم عبد الرحمن المفلحي
والسيد حسين عبدالله العيسائي

والشعيب هضبة مرتفعة تحدها يافع من الشرق والجنوب والغرب وتحدها ممن الشمال اليمن . وتقع العوابل وهي العاصمة على مساحة من الارض الصخرية تكتنفها مساحات ضيقة من الاراضي الزراعية . وتروى الاراضي بمياه الآبار والامطار التي تنزل في الصيف .

واهم الغلات الزراعية الذرة والقمح والدخن والبن والقات والورد ويستخرج من الورد ماء الورد الذي تشتهر به بلاد الشعيب وتقيم في الشعيب فخائذ السقلدي الآتية :

١ ـ الاردف	رئيسهم الشيخ محمد سعيد مطهر
٢ ـ السّيَل	« « محمد الحلاقي
٣ ـ الرباط	« « مثنى ناصر

٤ ـ القُزعى	« « قاسم بوبك جرير
٥ ـ العنفدي	« « يحيى قاسم
٦ ـ النجدي	« « يحيى محمد الحكم

والاحكام عرفية وقد يلجأون في بعض الاحوال الشخصية الى المحكمة الشرعية بالضالع .

وليس هناك في الشعيب علماء ولا قضاة شرعيون وليس هناك مدارس سوى مدرسة ابتدائية واحدة في العوابل ، فالجهالة ضاربة اطنابها في طول البلاد وعرضها .

وكانت الشعيب تابعة لليمن وعندما ضعف حكام اليمن انفصلت الشعيب وصارت كل قبيلة خاضعة لشيخها .

وتحالفت الشعيب مع يافع على ان تحميها يافع ضد كل معتد .

وفي السنين الاخيرة تدخل الانكليز في شئون الشعيب وساعدوا الشيخ محمد مقبل السقلدي ودعموه بالقوة .

وفي سنة ١٣٦٧ انقلب الانكليز ضد الشيخ محمد مقبل حاكم الشعيب حين رفض الموافقة على بعض مطالبهم وحين قاوم بالقوة وأثار القبائل ضدهم دكوا داره بالقنابل ولقد فر الشيخ محمد مقبل الى اليمن والتجأ الى الامام وعين الانجليز نائباً عنه .

والانجليز يمدون الشعيب بحوالي عشرين الف شلن سنويا علاوة على مرتبات المعلمين وموظفي الصحة . ولقد انتشر الامن بعد ان كان مفقوداً وكانت الفوضى ضاربة اطنابها في البلاد .

بنو مسلم

تقع بلاد بني مسلم على وادي بنا الذي يفصلها عن الجربة . وكانت

جزأ من الشعيب ثم انفلصت عنها عندما ضعف حكام اليمن . وتنازع عليها السقلدي والمفلحي وتدخل الانجليز ومنعوا الفريقين المتخاصمين من الدخول في اراضي بني مسلم حقنا للدماء . وفي سنة ١٣٦٤ هـ عين الانجليز الشيخ قاسم بن عبد الرحمن المفلحي حاكماً عليها وامدوه بجنود وسلاح وذخيرة . وهم أي الانكليز يدفعون مرتبات الجنود النظاميين البالغ عددهم ١٢ .

وينقسم بنو مسلم الى اربع فخائذ :

١ – كاثوم

٢ – القدام

٣ - الشجر

٤ - ذي كتيبة

عاقلهم الشيخ محمد موسى بن علي سعد وهو معين من قبل الحاكم الشرعي وهو المفلحي .

وتعتبر خلة العاصمة لبني مسلم .

وتروى الاراضي بمياه الآبار والامطار التي تنزل صيفاً وأهم الغلات البن والقمح والورد .

وتنحصر الضرائب في غلات الارض وفي الاغنام .

وهي تقدر بعشر المحصول وبريال واحد في السنة على كل ١٢ رأس غنم .

العودة الى عدن

وصلنا خلة في الساعة السابعة صباحاً وكانت النية معقودة على مواصلة السير الى عدن فلدى السيد حسين عبد الله العيسائي اعمال في عدن لا بد

من حضوره لانجازها ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان فقد وجدنا السيارة التي انتظرتنا في خلة معطلة ولقد بذل السائق وزميله جهوداً لاصلاحها ولكن من غير جدوى ، واخيراً وبعد غروب الشمس غادرنا خلة فاندفعت بنا السيارة بين الاحراش وكان الظلام حالكاً والسماء تمطر رذاذاً ، وكان لا بد من الذهاب الى الضالع ليأخذ السائق التصريح بالمرور .

وفي الساعة التاسعة مساء غادرنا الضالع ، وكان الهدوء شاملاً والجو معتدلاً والنسيم عليلاً ، وعندما بدأنا نهبط في نقيل حردبة توقفت السيارة عن السير وحاول السائق وزميله اصلاح العطب ولكن ذهبت جهودهم ادراج الرياح . ومن الغريب انه كان لكل منهما رأي في إصلاح السيارة فكانا لذلك يتبادلان الشتائم ، وكان السائق وهو اجهل من رفيقه يمسك زميله ليقذف به في بطن الوادي ، وكنت انا والسيد حسين العيسائي صامتين لا نبدي حراكا . ولم يكن في استطاعة احد منا الذهاب الى الضالع في تلك الساعة الحالكة الظلام لبعد المسافة واخطار الضباع التي قيل انها توجد في تلك المنطقة ، ومن المضحك انه لم يكن لدينا أي سلاح ، فلو هجم علينا ضبع لوجدنا فريسة سائغة له .

هكذا قضي علينا البقاء معلقين في قمة العقبة .

ونام السيد العيسائي على مقعد السيارة متدثراً بلحاف لينقي برد هذه الجبال الشاهقة ونام السائق في مكانه وافترش زميله الارض . اما انا فلم يبارحني الارق وحاولت ان انام في هذا الجو البارد الجميل فلم اتمكن ، ولقد مللت الجلوس داخل السيارة فتركتها وجلست على صخرة تطل على حافة الوادي العميق المليء بالصمت والعدم ، وكانت النجوم تطل من السماء فتلقي على هذه البقعة العالية من الدنيا نوراً ضئيلاً وعند مطلع الفجر ظهر القمر يصب انواره البيضاء الوهاجة على سفوح هذه المرتفعات

العالية ، وعلى هذه الوديان والاخاديد العميقة ، يا لروعة هذا المنظر وما ازكى رائحة ازهار العشب التي يحملها الينا النسيم . وهؤلاء الراقدون ما شأنهم ؟ انهم ينعمون بنوم لذيذ ، اما انا فامتع نفسي بجمال الطبيعة ، اجل اني اشعر في هذه البقعة الصامتة براحة نفسية انستني متاعب الارق ومنغصاته ، كما انستني مخاوف الضباع المفترسة . اني لست شاعراً ولكني اجد في الهدوء العميق لذة رمتعة .

نهض السائق وزميله قبيل الشروق واصلحا السيارة بعد محاولات قصيرة ، فقد كان نور النهار اكبر مساعـــد لهما على اصلاح السيارة . واندفعت بنا السيارة وانطلقت مسرعة في قاع الوادي حتى وصلنا الى الملاح ، وبعد ان استرحنا قليلاً استأنفنا الرحيل ، وفي الساعة الرابعة مساء وصلنا عدن بالسلامة .

تاريخ

ويافع من سلالة يافع بن زيد بن مالك بن زيد بن رعيني الحميري ، ومنهم مبرح بن شهاب بن الحـــارث بن ربيعة بن سعد بن شعيب بن شرحبيل بن حجر بن عمرو بن شرحبيل بن عمر بن يافع الرعيني الصحابي ، وهو احد وفد رعيني الذي هبط مصر وكان ميسرة عمرو بن العاص يوم دخل مصر .

جاء في التاريخ الاسلامي ان مرتا القبطية وجدت نفسهـا امام جثة رومانية في بيتها فوقفت واجمة وتوجهت بصلاتها الى الله ان ينقذها من موقفها الحرج ، فبينما هي في صلاتها اذا بالباب يفتح بعنف واذا بصوت أجش مرعب يقول «لقد قتلت هذا الروماني ايتها المصرية الخائنة» فانتفضت مذعورة واذا بها امام جنديين رومانيين يهددانها فتراجعت الى الوراء وفي تلك الساعة الحرجة دخل من الباب عربي كالح الوجه براق العينين

في يده سيف يقطر دما وما ان وقع نظره على الجنديين الرومانيين حتى وثب صائحاً : لن تفلتا مني ورب الكعبة . فاغمي على تلك المرأة ، وبعد ان افاقت وجدت نفسها مستلقية وعلى مقربة منها ثلاث جثث والاعرابي جالس الى جانبها ، ذلك الاعرابي هو حسان بن زياد اليافعي الذي التحق هو واخوته وابناء عمه بجيش عمرو بن العاص ، واجتازوا نهر النيل في طليعة جيش المسلمين وركزوا العلم في الضفة الغربية للنيل ، ومنذ ذلك اليوم سميت تلك المنطقة « الجيزة » وهذا الجيش هو الذي كان الخليفة عمر بن الخطاب يعنيه عندما كتب لعمرو بن العاص يقول لا تجعل بينك وبين قومك بحراً فابن سوراً يحمي المسلمين في جيزة الفسطاط ، وقد اراد عمرو ان ينزل عند رغبة أمير المؤمنين ولكن اليافعيين ومن كان معهم من ابناء القبائل العربية أبوا الا ان تظل مكشوفة من امامهم ومن ورائهم ، وقالوا لقائدهم عمرو بن العاص دعنا من السور يا عمرو فانمـــا أسوارنا صدورنا .

وهناك علماء محدثون من يافـــع منهم عبد الله بن وهب وعبد الله ابن سعد بن الصعبة وغيرهما . ومن متأخريهم قطب الحرم المكي عبدالله ابن سعد اليافعي .

يافع واليمن

كانت بلاد يافع حتى اواخر القرن الحـادي عشر احدى المقاطعات الملحقة باليمن . وكان امام اليمن وهو في الوقت نفسه تابع للدولة العثمانية يعين احد ابنائه حاكماً على يافع وقد يعين هذا الامير من يثق به ويعتمد عليه على يافع بالنيابة عنه ويظل هو في اليمن . ولعل آخر من عين من الامراء اليمنيين على يافـــع هو الامام عبد العلي بن احمد علي الاهدل الحسين ولعل آخر نائب أو حاكم هو صلاح بن احمد مسمار وهو الذي

اصلح الطرق ومهد العقاب حتى جعلها صالحة لسير الدواب والمشاة وأهم هذه العقاب نقيل بني بكر وذبوب وتوزلي وشرعة . والامير الحسين ابن الحسن بن الامام القاسم بن محمد هو الذي انشأ مسجد النور سنة ١٠٨١ وكان مركز ادارته في بلدة مسجد النور، ولا تزال الدار التي كانت تصدر منها الاحكام والاوامر قائمة في مسجد النور حتى اليوم .

وعندما سرى الضعف في حكام اليمن لضعف الخليفة العثماني وازداد التخاذل والتناحر على المراكز قلت الرقابة على يافع الى حد كبير واهملت شئونهم كل الأهمال وكانت النتيجة ان اخذت قبائل يافع تنفصل عن سلطان اليمن تدريجياً حتى انفصلت انفصالاً تاماً واخذت كل قبيلة تلجأ في حل مشاكلها وفي اصلاح ذات بينها الى رجل منها ذكي قوي الشخصية بعيد النظر محب للخير .

ولما تولى الحكم في اليمن الامام حسين بن مهدي بن عامر طمع في ضم يافع الى اليمن . كان ينظر الى يافع كمدر قوي الشكيمة جاثم على حدوده ومن اجل ذلك جمع بعض القبائل في رداع وارسلهم بقيادة عامر بن صالح لمحاربة يافع في جمادي الاولى سنة ١١٠٢

وبلغ الخبر يافع ان جيش الامام سيهجم عليهم من ناحية قعطبة فاجتمع عدد كبير منهم على مقربة من قعطبة لصد هجوم الزبود ولكن عامر بن صالح فاجأ يافع بالهجوم على خرفة وهناك اصطدم بقوم من يافع واستمرت المعركة حامية الوطيس من الصباح حتى غروب الشمس وانسحب الزبود الى قعطبة تاركين وراءهم عدداً من القتلى والجرحى .

ولقد كان لهذه الهزيمة التي لم يتوقعها الامام أثر سيء في الزبود وارادوا الاخذ بالثأر فحشد الامام ثلاثين الف مقاتل في قعطبة وجعل عليهم ابنه الامير قاسم وهجموا على خرفة ليلا واحتلوها وقتلوا كثيراً من حماتها . وكان هذا النصر الذي حازه الزبود اكبر مشجع للامام على

الاستمرار في محاربة يافع فقد سار بنفسه الى دمت وجهز عشرين الف مقاتل وارسلهم الى جبن للهجوم على جبل حجيل ربو وارسل الى جيشه المرابط في خرفة ليهجموا على جبل حجيل تيم . وهجم الزبود في يوم واحد على حجيل ربو وحجيل تيم . واجتمعت بعض قبائل يافع بجربة غالب واتجهوا الى ربو . ونهض السلطان معوظة العفيفي وجمع من بني قاصد عدداً كبيراً وسار بهم الى تيم . وعلى سفح الجبل تلاقى الزبود ويافع واشتدت المعركة وانتهت بهزيمة جيش الامام بعد ان قتل عدد كثير من الفريقين ثم عقد صلح تعهد فيه الفريقان ألا يتعدى احدهما على الآخر .

يافع تغزو اليمن

ولم تطل مدة هذا الصلح او هذه الاتفاقية فقد اخذ الامام يتحرش بيافع ويناوش اطراف حدودهم من حين الى آخر مخالفاً بذلك شروط الاتفاقية القائمة بينه وبين يافع . فالامام اذن هو البادىء بنقض الاتفاقية ولقد غره همود يافع وخمودهم داخل حدودهم فأخذ يحشد القبائل في الحجرية وما حواليها حتى بلغ عددهم نحو الاربعين الف مقاتل .

وبلغ يافع نبأ احتشاد الزبود لمحاربتهم فعقدوا النية واجمعوا أمرهم على ان يهاجموا اليمن قبل ان تهاجمهم .

اجتمع عدد كبير في المحجبة . وفي يوم الاثنين سلخ ربيع الاول سنة ١١٠٣ ساروا الى عنتر وقضوا هناك ليلة وفي صباح الثلاثاء ساروا الى سوق الثلاثاء حيث تجتمع فيه كثير من قبائل يافع وهنا استطاع قادتهم ان يحشدوا جموعاً كثيرة من مختلف العشائر اليافعية شباناً وشيوخاً وكهولاً . تجمعوا وهم في أشد ما يكون من الحماسة والشجاعة والتلهف الى القتال والنضال . ساروا نحو الحجرية حيث تتركز قوات

الزبود واحاطوا بها احاطة السوار بالمعصم ثم هجموا على الزبود واشتبكوا معهم في قتال عنيف استعملت فيه البنادق والسيوف والخناجر . ولما بلغت المعركة نهايتها من العنف والقسوة حاولت بعض قوات الامام الفرار ولكنها لم تستطع الى ذلك سبيلاً فقد احاط يافع بهم من كل الجهات ولم يتركوا لهم منفذاً للفرار وأخيراً انسحب الزبود الى داخل ديار الحربة وتحصنوا بها واخذوا يقاومون مقاومة اليائس المستميت ولكن الجوع أخذ يضايقهم لشدة الحصار فاضطروا الى أكل لحوم الجمال والحمير .

وأرسل الامير يوسف كتابا الى الامام يشكو اليه ما حل بجيشه من الجوع والبوار وطلب اليه السماح له بالانسحاب والعودة الى داخل حدود اليمن ولكن الكتاب وقع بين يدي يافع فلم يصل الى الامام ولما بلغ الامير ذلك طلب الهدنة من يافع والانسحاب ولقد أجابه يافع الى ذلك وعاد بفلول جيشه الى اليمن .

ومرت شهور ساد فيها الهدوء ولكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة فقد سار الامام بنفسه الى الزاهر لمحاربة يافع . ولقد علم يافع ان الامام يعد عدته في الزاهر لمهاجمتهم داخل حدودهم فسارت جموع كثيرة منهم الى جبل العر في اول رمضان سنة ١١٠٤ وقد انحاز السلطان احمد بن علي الرصاص واتباعه الى الامام ضد يافع لأسباب غير معروفة . ولكن ذوي الرأي والفكر من يافع استطاعوا ان يؤثروا في السلطان احمد بن علي الرصاص ويضموه وقومه اليهم ، كما انهم ارسلوا للسلطان معوظة العفيفي . فلبى نداءهم وقام من أبين الى القارة في طريقه الى العر ولكن السلطان وافاه الاجل في القارة يوم ١٣ رمضان سنة ١١٠٤ وقام بالأمر بعده ابنه السلطان قحطان . وفي اواخر رمضان وصل السلطان قحطان الى العر بجموع كثيرة من عشائر كلد وبني قاصد .

وفي ٢ شوال سنة ١١٠٤ وصل الى العر السلطان احمد بن علي الرصاص وعشيرته وتعاهد الجميع على ان يكونوا كتلة واحدة يدافعون عن بلادهم بكل ما اوتوا من قوة ولا يتزحزحون قيد شعرة حتى يهلكوا جميعاً .

تقابل الفريقان ، يافع والامام ، في الدرب وكانت معركة عنيفة قتل فيها عدد كبير من الفريقين وانسحب الامام بفلول قواته الى البيضاء ورابطوا بها .

اما يافع فقد احتلوا الزاهر وأجمعوا امرهم على مطاردة الامام داخل حدوده ، لذلك ساروا الى البيضاء ورابط جماعة منهم في نجد السلف ليمنعوا هروب الزبود من البيضاء واشتبك الفريقان في معركة عنيفة واشتد ضغط يافع وهجومهم على مدينة البيضاء من كل الجهات وحاصروا الزبود فيها حصاراً شديداً حتى عجزوا عن المقاومة لنفاد الذخيرة والمؤن لذلك عرضوا الهدنة على يافع على ان ينسحبوا من البيضاء وقد اجيبوا الى ذلك وخرجوا من المدينة الى نجد السلف في طريقهم الى صنعاء .

ولكن المرابطين من يافع في نجد السلف هجموا عليهم بالسلاح الابيض وقتلوا حوالي اربعين شخصاً منهم واسروا كثيراً من أسلحتهم ومؤنهم وعادت فلول قوات الامام الى صنعاء بعد ان جردوهم من الاسلحة وكان عدد القتلى من يافع في نجد السلف خمسة عشر مقاتلاً .

قلعة أبين

في الوقت الذي كانت عشائر يافع تتجمع وتتكتل في العر استعداداً لمنع زحف قوات الامام حاصر جماعة من الزبود قلعة أبين وكان بها عدد من يافع ومنعوا عنهم الماء والطعام ثم هجموا على القلعة ودخلوها وقتلوا معظم حماتها ولم يستطع يافع استرداد القلعة لانشغالهم بمعاودة الامام في البيضاء ونجد السلف فلما انتهت معركة البيضاء اجتمع السلطان قحطان

ابن معوظة العفيفي والسلطان عبد الله بن احمد الفضلي والسلطان احمد بن علي الرصاص وعدد كبير من عشائر الموسطة اجتمعوا في سيلة كلدا سفل ذي ناخب وتعاهد الجميع على طرد الزيود من قلعة أبين واستردادها بأي ثمن . وفي جمادي الاولى سنة ١١٠٥ هجموا على القلعة واحتلوها عنوة وقتلوا حماتها الزيود .

وفي محرم سنة ١١٠٦ ارسل الامام الى يافع ليقابلوا ابنه الامير محسن في بلاد الشاعري لعقد صلح وسار وفد من يافع الى بلاد الشاعري ولكن الامام نكث بوعده فعاد الوفد اليافعي الى بلاده .

وفاة السلطان صالح بن احمد بن هرهرة

في شهر شوال سنة ١١٠٦ توفي السلطان صالح فاجتمع قوم من عشائر يافع العليا في المحجبة وولوا ابنه السلطان ناصر فحذا احسان أبيه في العمل لاصلاح ذات البين بين قبائل يافع العليا.

وقعة الزاهر

في سنة ١١٠٧ هـ طمع الامام قاسم بن حسين المهدي في احتلال يافع وبسط نفوذه عليها فحشد لذلك نحو ثلاثين الف مقاتل في الزاهر ، ولما علمت يافع هرعت جموع كثيرة من يافع العليا والسفلى يتقدمهم السلطان ناصر بن احمد بن هرهرة والسلطان قحطان بن معوظه العفيفي والسلطان احمد بن علي الرصاص ورابطوا في العر لصد زحف جيش الامام. وتقابل الفريقان فكانت معركة عنيفة لاهوادة فيها ولا رحمة. واخيراً انسحب جنود جيش الامام تاركين خلفهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى ودخل يافع الزاهر واستولوا على ما فيها من مؤن وذخائر .

وقعه لحج

في شهر رجب سنة ١١٠٧ اجتمع بضع مئات من يافع السفلى وساروا الى لحج وحاصروا قلعة الرعارع ثلاثة ايام وكان فيها نحو الف مقاتل من الزيود .

ولما رأى يافع ان لا فائدة من الحصار هجموا على القلعة بالسلاح الابيض ولقد ابدى الزيود شيئاً كثيراً من الشجاعة والبسالة في مقاومتهم ليافع وأخيراً سلموا القلعة ليافع ويظهر ان الجوع هو الذي دفعهم للتسليم من غير قيد ولا شرط فقد انتهى زادهم كما ان القتلى منهم بلغ حوالي اربعمائة . اما عدد القتلى من يافع فكان مائة وثمانين .

وفي أول رمضان سنة ١١٠٧ طلب الامام الصلح فاجابه يافع الى ذلك . واراد الامام ان يبرهن على حسن نيته ويقوي الصلة بينه وبين يافع وانصارهم لذلك ارسل الى السلطان احمد بن علي الرصاص يبدي رغبته في زواج ابنه محسن من ابنته سلمى وتم الزواج في ربيع الثاني سنة ١١٠٨ .

وقعة المعسال

ولكن الصلح لم يظل فقد تعكر فجأة . ففي رجب سنة ١١٠٩ حشد الامام اربعين الف مقاتل من حاشد وبكيل وسفيان وعلى رأس هذا الجيش ابناه محسن ويوسف .

وبلغ يافع نبأ هذه الحركات التي يقوم بها الامام في المعسال تمهيدا لغزو بلادهم فاجتمع الوف من مختلف العشائر اليافعية لصد هجوم الزيود واصطدم الفريقان فكانت معركة عنيفة بالبنادق والسلاح الابيض وكاد يافع ينهزمون لتفوق عدوهم في العدد والعُدد ولكن النصر كان حليفهم

في نهاية المعركة وعقدت هدنة بين الفريقين لمدة سنة . وحين انتهت الهدنة بدأت الاعتداءات من الفريقين تظهر حينا وتخمد حينا آخر حتى جاءت سنة ١١١٣ هـ فعقد صلح بين يافع والامام قاسم بن حسين المهدي وكان الواسطة في الصلح الامير عمر بن جعفر الكثيري وكان الامير ميالا للعهد ومحبا للسلام فقد اخذ يقود الى يافع ويرسل لشيوخهم وقادتهم الهدايا والعطايا الثمينة .

احتلال عدن

في شهر جمادي الثانية سنة ١١١٤ سار السلطان قحطان بن معوظة العفيفي بقوم من يافع الى عدن ودخلها بدون مقاومة من سكانها واقام بها ثمانية ايام ثم غادرها عائدا الى القارة بعد أن أقام عليها الشيخ صالح ابن سليمان كما اقام حسن بن غرامة حاكما على لحج .

الامام ينقض الصلح

في سنة ١١١٤ هـ وقبل ان ينتهي الصلح جهز الامام جيشا من قبائل حاشد وبكيل المعروفة بقوة الشكيمة وجعل عليهم ابنيه ابراهيم وعبد الرحمن وارسلهما الى راكب لمحاربة يافع واخضاعهم تحت سلطته . وما كانت هذه الحركات تخفى على يافع فقد قام السلطان قحطان بقوم من يافع واتجه الى حيث يعسكر الزيود وقامت الحرب بعنف قتل فيها عدد كبير من الفريقين وأخيرا انسحب الزيود تاركين خلفهم كثيرا من الاسلحة والمؤن . واخذ يافع يطاردون فلولهم حتى وصلوا الى جبن وخربوها ثم واصلوا سيرهم الى دمت وهناك غنموا غنائم كثيرة وعادوا بها الى القارة .

وثائق تاريخية

عثرنا خلال وحلتنا بيافع العليا على وثائق تاريخية مضى عليها حوالي ثلاثة قرون . ونحن ننقلها هنا لتلقي ضوءاً على التاريخ اليافعي اليمني .

«بسم الله الرحمن الرحيم وبالله نستعين على امور الدنيا والدين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اجمعين ، انه لما كان يوم الخميس الواقع عام ١٠٧٥ خمسة وسبعين من بعد الالف وهذه علامات التأسيس المتقدمات في ولاية شرف الاسلام والمسلمين المتوكل على الله رب العالمين الناصر لدين الله الامام المستعلي قبل سيدنا الحسين بن الحسن بن الامام القاسم في مرور يافع الجبل على يد العامل صلاح احمد مسمار وعما قامت معه من جماهير الانساب بكسر اليمن على يد الحاكم بامر الله الامام عبد العلي ابن احمد بن علي الاهدل الحسيني بانه تولى فيها دهراً طويلا وسكن اوتاد جبالها المعلومه وامتلك الجوانح البرية والنواحي البحرية وبايع عليه السلطان قحطان بن معوظة العفيفي والشيخ الهرهري واهل سبا بن يشجب واهل قبيله واهل وها وقلدوه ما بايديهم وبايعوه مبايعة الحكم والاحتكام والقيد والالتزام ومبايعة السيوف والاقلام واستقامت ولايته في تلك البلدة باستقرار واستمرار بحق واستحقاق واتصل الامامة العلوية من ميراث النبوة واقام بالفروض والواجبات والسنن القائمات واقامت له الخطباء ان يدعوا له بالنصر والتأييد وقام بامر مستكفيهم في البلد المعلومة في المبايعة الصحيحة الشرعية وتولى (....) (...) بشكر الله وطاعته بالاقليم المشهور وتشديد الوحدة بالجزيرة البرية العربية بيد سيف السنة بهذا اللقب المذكور وبالعلم والصلاح والتحرير على المذهب السلفي بالحديث والنحو المستقيم بامر الله وطاعته وصحة بيعة شاملة تامة حازمة لازمة مشمولة بحدودها الاربعة في ولاية الامامة العلوية فيما اولاه مولاه

من ميراث النبوة على المذهب السلفي في هذا التقييد المثبت في التزام البلد والاوطان المعلومة للوقت المقبل المستوثر بانقيـــاد الامر والنهي واقتضت المصلحة الجامعـــة في مجلس كل طرف في عقد هذه البيعة في شرطها واحكامها بيد الامام المفترض عن الطاعـــة في ضمانة الايمان المكتسب المنسوب بالخلع والتقلد والحمد لله على ولاية الامامة العلوية وعلى سوابق الاسلام في عقد هذه الامانة المشهورة بحضـــور العدول الثقات بمن لم يكتبوا واذنوا ان يكتبوها واشهد ان لا اله الا الله ونشهد ان محمداً عبده ورسوله والحمد لله رب العالمين وصح هذا الصحيح بيد العامل صلاح احمد مسمار

الامام
عبد العلي بن احمد
علي الاهدل
الحسين

الامام
عبد العلي بن احمد
علي الاهدل
الحسين

الامام
عبد العلي بن احمد
علي الاهدل

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي قيم الامامة العلوية بمـــا امتد به واستقر من ميراث النبوة في مصالح الاسلام وصلاح الاعمال واتباع الشرع الشريف واشهد ان لا إله الا الله وان محمدا عبـده ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذه علامات ما تقـدم فيما استقرت الامامة العلوية في البلدة المعلومة بلاد لوط الواردة اليها نواحي يافع الجبل وهي المتوسطة ما بين حدة البحر المالح ويافع الجبل ساحل أبين بعد مرور تلك الدولة الامام المستعلي الحسين بن الحسن بن الامام القاسم على يد صلاح بن احمد

مسمار وجماهير الانساب بكسر اليمن دهراً طويلا قام انتهاء الارتحال وتولى عن البلدة المعلومـــة السلطان صلاح الفضلي وخلايفه (خلفاؤه) وولاه الامام المستعلي ما بيده في مبايعـة بكسر اليمن المعمور ولاه وقلده مابيده في مرور بلدته وصح مستنيب (كذا) في بلدته المشتملة بحدودها الاربعة بعد خروج الخلايف الطايفات من القيحاف والمقاويع مقاويع حلمة القيحاف الى امفيحية الى غربي حلمه والى الروند والاميبه والى النبوة والى جبيل برف والى الرماله وبخشاعية الى جعار والى الجبيل والى قلعة خنفر وصح ما سمى من حد وبلد واوطان وهاملات الاطيان الى عرض حد اليافعي بنظر اعترف الحدود وانصراف من وصل بالمرور القادم بالتأسيس المتقدمة بالارض المعلومة الا انها وجدت الدولة الامامية تلك البلدة مطوعة وسلطتهم مطوعة وما صارت لهم تحت القبض القادم الى بعد اظهار منادالامامة العلوية في صحيح الرقم الواقع بعدما استولوا على مغلات البلاد المعلومة وصح هـذا الرقم بيـد السلطان صلاح الفضلي وخلايفه بانقياد الى الامام المستعلي وتقدم الرقيم في وقت طلب الخليفة الطايفة وتكفل الامام المفترض بما يلازم البلاد من الخلايف والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين . صـح في عام وفا اليه من بعد الالف (١١٠٠ هـ) في صحيح الامامة وجماهير الانساب بكسر اليمن .

وكتب ذلك الصحيح صلاح بن احمد مسمار
الامام
عبد العلي بن احمد الاهدل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على امور الدنيا والدين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اجمعين وهذه علامات التأسيس المتقدمة عمـــا قام به شرف الاسلام والمسلمين خليفة رسول الله امير المؤمنين الامام عبد العلي بن احمد بن علي الاهدل الحسيني فلما اكتسب الامـامة من ميراث النبوة فلما قام بالامامة العلوية باليمن المعمور قصد بلاد لوط ساحل ابين وجبله يافع الحيد فلما وصل سكن فيها واستمر دهراً طويلا وبعد شدد عليهم سبيل ربه من الحكمة والمواعظ والحسنة مـا قبل الله أعمالها وأمسك البحر ودجى الارض وامسك رواسي الجبـال وجاءت عليه الخلافة دار تحل من ما كانت بيده تحت القبض القادم من النواحي البحرية والجوانح البرية بعد الارتحال بايع ما كانت بيده من البلد المعلومة على السلطان سيف بن قحطان بن معوظة العفيفي وصحة البيعة في ساحل أبين مشمول الى شاطىء البحر ويافع الجبل مشمول وبايعه ذلك بيعـة سعيدة شريفة ميمونة بها السلامة في الدين والدنيا مضمونة بيعـة صحيحة شرعية بيعة ملحوظة مرعية بيعة متفق بها على الاجتماع عليها الاجماع واعتقد عليها من سمع الله واطاع وابذل فيها من كل امر مستطاع واقر الخصم وانقطع النزاع وبايعه بذلك فيما قل وجل واولاه الامور والاحكام وارباب المناصب والاحتكام وحملة العلم والاعـــلام وحماية السيوف والاقلام واعطاه التصرف بالامامة وقلده ذلك ما به التقليد من الحكم والاحتكام والتزم بالقيد والالتزام وبايعه بيعة لا يحل عقدها ولا ينبذ عهدها بيعة لازمة حازمة دائبة دائمة تامة عامة شاملة كاملة صحيحـة متبعة وصحه بالمبايعة ..... ، ..... بالمتابعة واجاز باحـكامها على نفسه وامضـــاها ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضـــاهـــا

وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وصح هذا الصحيح بيـد السلطان سيف بن قحطان العفيفي مصحح بتشديد الوحـدة بكسر اليمن في مدينة اب ذات اليمن بالقلم المصهور عن يمين البيت في صحيح الامام المستعلي الامام عبد العلي بن احمد بن علي الاهدل الحسيني وفي حضور جماهير الانساب القايمين بما امر الله ورسوله والحمد لله رب العالمين.

صح ذلك في عام اثنين وخمسين ومية والف
في شهر الحج (١١٥٢ هـ)

الامام
عبد العلي بن احمد
علي الاهدل

الامام
عبد العلي بن احمد
علي الاهدل

يافع بحضرموت

حين ضعفت سلطة آل الكثيري وانكمش نفوذهم في حضرموت لتخاذل امرائهم وتنافرهم وتنافسهم على الحكم هب الامير بدر بن عبدالله ابن جعفر الكثيري الملقب بابي طويرق والمولود سنة ٩٠٢ هـ واخذ يبذل الجهود لانقاذ ملك آبائه وتوحيد صفوف قومه وجمع كلمتهم ولكنه على الرغم من اخلاصه في الدعوة لم يجد آذانا صاغية ولا قلوبا واعية بل لقي من بعض اقربائه معارضات ومعاكسات اضطر بسببها الى ان يغـــادر حضرموت الى اليمن ليأتي بقوم آخرين يسترد بهم الملك الضائع والحكم المفقود . وصل صنعاء في أوائل الحجة سنة ٩٢٥ هـ فاكرمه الامام واحتفى به ولما طلب الى الامام ان يمده بجيش لاحياء ملكه بحضرموت امره ان يبقى في صنعاء حتى نهاية شهر ذي الحجة ليشاهد وفود القبـائل التي تأتي من اطراف اليمن لتهنئته بالعيـد وليختار بعد ذلك القبيلة التي

تعجبه . ولقد وقع اختياره على يافع فأخذ منهم نحو خمسة آلاف مقاتل ورحل بهم الى حضرموت ولما علمت فهد بقدومهم احتشدت جموعهم في نجران لصدهم ومنعهم من الزحف الى المناطق الوسطى بحضرموت . وتقابل الفريقان وكانت معركة عنيفة استعملت فيها البنادق والخناجر والرماح والسيوف وكان النصر حليف الامير بدر وقومه يافع واستأنف بعد ذلك الرحيل حتى وصل الى شبام في رجب سنة ٩٢٦هـ واحتلها وحصنها بعدد كبير من يافع الموسطة ثم سار الى تريم واحتلها في محرم سنة ٩٢٧ وطرد منها محمد بن احمد بن جودان وحصنها بقوم من يافع لبعوس واتخذها مركزاً لسلطنته وحصن سيون بقوم من يافع الضبي وسار الى هينن واستولى عليها وارسل عدداً كبيراً من يافع الى السلطان محمد بن عبدالله ابن جعفر الكثيري حاكم الشجير لتحصين المدينة من اغارات قبائل البادية وقطاع الطرق .

ومرت الاعوام تلو الاعوام وسلاطين آل كثير بحضرموت يعتمدون على يافع في تقوية مركزهم وتوطيد دعائهم وفي عهد السلطان علي ابن بدر الكثيري بدأ نفوذ يافع يقوى وسلطتهم تنمو وكلمتهم تعلو ولما مات السلطان علي سنة ١١٠٧ قام بالامر بعده السلطان عيسى بن بدر الكثيري وكان سليم النية ضعيف الارادة ترك شئون دولته لحاشيته وبطانته ولحكام المقاطعات فاصبح ليافع النفوذ المطلق والكلمة العليا .

انتشار الزيدية في حضرموت

تألم الامير عمر بن جعفر الكثيري لحالة قومه وانحلال ملكهم وكان كبير النفس قوي الارادة عالي الهمة ازمع واجمع على استرداد بلاده مهما كلفه ذلك ومهما اعترضته من الصعاب والعراقيل . اخذ يراسل

امام اليمن مستنجدا به لاجئا اليه طالبا قوة من خيرة الرجال ليقضي على نفوذ يافع ويعيد للسلطنة الكثيرية هيبتها وسلطتها . ولما ابدى الامام استعداده لتحقيق امنيته سار اليه فاحتفى به الامام واصدر امره الى الحريبي عامل تهامة باطلاق سراح المسجونين من قبائل حاشد وبكير وتجهيزهم بالسلاح والذخيرة والمؤن وارسالهم الى الشحر لاستردادها من أيدي يافع ولعل الامير عمر ابن جعفر تعهد للامام بالخضوع لسلطانه بعد القضاء على يافع وليس من شك ان الامام يرمي بهذه المساعدة نشر مبادىء الزيدية بحضرموت وهي خطوة لبسط نفوذه على الحضارم وعاد الامير عمر بن جعفر الكثيري بقومه الزيود وفاجأ الشحر بالهجوم ليلا فهب الناس من مرقدهم مذعورين ولم يتوقع يافع هذا الهجوم من الامير وقد كان بالامس يجالسهم ويسامرهم ويبدي لهم من الود والرضا شيئا كثيرا ولكن السياسة تعمل كل شيء في سبيل الوصول الى الغاية احتل الامير عمر بن جعفر الشحر وسار بقومه الى داخل حضرموت واخذ يصارع يافع تارة بالشدة واخرى باللين حتى قوي مركزه واتسع نفوذه ولقد انتحل الزيدية ودعا اليها ولكنه باء بالفشل والخذلان فقد قاومه رجال الدين من العلويين وغيرهم واستاؤوا منه ونفروا نفوراً شديداً .

اما السلطان عيسى بن بدر الكثيري فقد هرب الى عينات حين بلغه قدوم الزيود تحت قيادة الامير عمر بن جعفر والتجأ الى الشيخ ابي بكر ابن سالم ولكن الامير عمر سار الى عينات والقى القبض عليه وارسله الى الامام .

ذعر الحضارم وهم شافعيون من انتشار مبادىء الزيدية بين كثير من الجهلة وقام رجال الدين يقاومون تيار الزيدية ولكنهم باؤوا بالفشل فالسلطان عمر زيدي ومتحمس للزيدية والناس على دين ملوكهم ولعل

تحمس السلطان عمر بن جعفر للزيدية لغاية في نفسه فالظروف دفعته الى ذلك لتقوية سلطته وتوطيـــد سلطانه فهو على مبدأ النظرية المعروفة (الغاية تبرر الواسطة)

استنجاد آل الشيخ ابي بكر بيافع

ولقد رأى آل الشيخ ابي بكر بن سالم ان يستنجدوا بيافع للقضاء على الزيدية بحضر موت فأرسل احد كبارهم وهو السيد علي بن احمد بن سالم كتباً الى شيوخ يافع يدعوهم فيها لغزو حضر موت للقضاء عـــلى الزيدية ولانقاذ يافع من اضطهادات السلطان عمر بن جعفر لهم وتنكيله بهم. وبما ان لآل الشيخ ابي بكر سلطة روحية على يافع عهدئذ فقد لبوا دعوتهم واستجـابوا لندائهم . اجتمع معظم قبـــائل يافع في الحجبة واختاروا جماعة منهم وعلى رأسهم السلطان عمر بن صـــالح بن هرهرة والسلطان قحطان بن معوظة العفيفي . وفي يوم الاثنين أول ذي القعدة سنة ١١١٧ سار هؤلاء الى عنتر وباتوا ومنها ساروا الى سوق الثـلاثاء وباتوا في ذيصراء ومنها ساروا الى جوبـة غالب وكانوا في كل بلدة يمرون بها يدعون يافع لانقاذ قومهم بحضر موت من بطش السلطان عمر بن جعفر ولقد اجتمع منهم ستمائة مقاتل وذهبوا الى البيضاء في طريقهم الى حضرموت ومنها الى نصاب وهناك انزلهم السلطان صالح بن منصر العولقي على الرحب والسعة ولقد نصحهم السلطان بالعدول عن السفر الى حضرموت والعودة الى بلادهم لقلة عددهم وكثرة انصار السلطان عمر بن جعفر فلم يرضخوا لنصحه .

وفي يوم ١١ ذي الحجة سنة ١١١٧ دخلوا مخترقين وادي المشاجر وعندما وصلوا الى الظليق ارسلوا الشيخ حسين بن مطهر العمودي واخيه محمد بن مطهر فجاءا ومعهما ثلاثماية من اتباعه ومائة حمل من المؤن

واتفق الفريقان على انهم بعـد ان ينتهوا من القضاء على السلطان عمر بن جعفر الكثيري ترد لآل العمودي جميع المزايا والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها سابقاً في دوغن وملحفاتها وعندها وصل الى عقبة الجحى من آل العمودي من قبائل الحالكة وآل با هبري وغيرهم نحو الفٌ مقاتل .

موقعه بحران

بلغت الانباء الى السلطان عمر بن جعفر الكثيري وكان يومئذ بمدينة الشحر ، علم السلطان عمر بوصول يافع وتكتلهم مـع العمودي وقومـه فهرع الى سيون وحشد اربعة آلاف مقاتل من الزبود وقبائل الكثيري وسار بهم الى بحران لمنع زحف يافع ومن معهم من قبائل العمودي .

وقد ارسل السلطان عمر بن صالح بن هرهرة كتابا الى السلطان عمر بن جعفر اخبره فيه انه ويافع لم يأتوا للقضاء على سلطته وليس لهم أي غرض في بسط نفوذهم وتقوية مركزهم بحضرموت وانما جاؤا ليقضوا على الزبود وعلى مذهب الزيدية حتى اذا انتهوا من ذلك عادوا الى بلادهم يافع؛ فرد عليه السلطان عمر بن جعفر بكتاب قائلًا انه لا يسمح ليافع ولا لغيرهم بالتدخل في شئون حضرموت وقال مهدداً انه اتى الى بحران بقوم من بكير وحاشد وآل كثير وغيرهم للقضاء على يافع ومن لحق بهم من قبائل العمودي وتحدى السلطان عمر بن جعفر وتهكم قائلًا « .... فان كنت عمر بن صالح كما ذكرت ... وركبت على حصانك الابيض وفعلت المظلة على رأسك .... ابتلعتها نسوان يافع وبرزت لنا ولكن بايبـان الفعال بيننا منا ومنكم ... »

ورد عليه السلطان عمر بن صالح قائلًا « .... وان شاء الله واصلين غداً الخميس والشمس في كبد السماء وانا عمر بن صالح بن هرهرة في مائة فارس واما قولكم اني اظهر المظلة واركب على حصاني الابيض

فالمظلة ان شاء الله ترونها على رأسي في قاع بحران رأي العين واما الحصان فلالي منكم نديد وانا بادن لكم في بندقي في قاع بحران »

وبحران ارض مسطحة ليس بهـــا تلال ولا وهاد ولا صخور ولا شجر وتقع على مقربة من سدبه . وفي اطرافها الشماليـة قسم السلطان عمر بن صالح بن هرهرة يافع الى ثلاث فرق : الاولى من الموسطـــة وليعوس وعليها بوبك بن صالح ، والثانية من الناخبي واليزيدي وعليها صالح بن عبد الله وحسين بن صالح ويحيى بن عمر ، والثالثة من الضبي وبير والعناق والحدي وعليها بوبك بن حسين بن صالح وعمر بن عبدالله وصالح بن بوبك وكان عدد المقاتلين في هذه الفرق الاربع لا يقل عن ستمائة . اما العمودي فقد كون من قومه فرقة بلـغ عدد افرادها نحو الف ومائتي مقاتل ولقد وضعت هذه الفرق كلها في اماكن غير متباعدة ليباغتوا الاعداء بوابل من الرصاص ويضعوهم بـــين فكي الكماشة فلا يجدون منفذاً للفرار .

وفي فجر يوم ١٠ محرم سنة ١١١٨ بدأت المعركة بين الفريقين وكانت عنيفة جداً استعملت فيها الاسلحة النارية والخناجر والسيوف ، وقبيل غروب الشمس انسحبت فلول قوم السلطان عمر بن جعفر تاركة خلفها عدداً كبيراً من القتلى والجرحى وكميات كثيرة من المؤن والذخائر . زحف يافع وانصارهم الى شبام فاستقبلتهم جموع كثيرة من الشعب بحفاوة بالغة وابتهاج عظيم ، وجاء الشيخ ابو بكر بن سالم من عينات بالاعلام والطبول وشكر يافـــع على ما قاموا به من تضحيات عظيمة للقضاء على الزبود وعلى اتباع الزيدية وطلب اليهم ألا يمسوا السلطان عمر ابن جعفر الكثيري بأي اذى وان يتركوه حراً كريماً ، ولقد قضت هذه المعركة الفاصلة على نشاط الزيدية حتى اختفت آثارها في حضرموت . ولما استقرت الأمور وهدأ كل شيء عاد يافع الذين جاؤا في هذه الحملة الى ديارهم ماعدا

خمسين منهم فقد فضلوا البقاء والاقامة بحضرموت .

الصراع السياسي بين يافع وآل كثير

بعد معركة بحران وبعد ان قضـــي على الزبود وعلى الزيدية بدأت سلطة يافع تنمو ويتسع نطاقها . ولما قـام السلطان جعفر بن عمر بن جعفر الكثيري بالامر نافسه على الحكم الامير جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري واشتد الخـــلاف بينهما وكان الامير جعفر غير حكيم في تصرفاته ضد يافع فقد استعمل القسوة والشدة واعتدى عـــلى اموال يافع في شبام ولقد انتهز السلطان جعفر بن عمر هذه الفرصة فأغرى بعض عشائر آل كثير في ذي أصبح سنة ١١٤٥ للتحالف مع يافع ضد منافسه الامير جعفر بن عيسى وسار الى بلاد نهد وأتى بقوم من نهد والجعدة ليضرب بهم الامير جعفر . تقابل الفريقان بمكان يقال له الغطيل وكانت معركة عنيفة انتهت بانهزام الامير جعفر بن عيسى وارتداده الى شبام ولم يقم بها سوى ليلة واحدة ثم غادرها الى العجلانية وظل بها الى ان وافته المنية . وبموته انكمشت الدولة الكثيرية وتألق نجم يافـــع في حضرموت واتسع نفوذهم اتساعاً ما كانوا يحلمون به من قبل فقد آل امر المكلا الى بني ناخب واصبح امرغيل باوزير للبعوس وريدة المعارة لكلد وغيل بن يمين للشنافير وتريم للبعوس وسيون للضبي وجفـــل للرباكي وتريس وحورة وشبام للموسطة ومريمة لبني بكر ولحروم لعبد الله بن عوض القعيطي وسد به للجهوري والمحرين لآل يزيـــد والقزة للبطاطي .

محاولة آل الكثير استرداد نفوذهم

جاء في كتاب ابن حميد ان جعفر بن علي بن جعفر الكثيري انى من

الهند الى حضرموت بمال كثير وذهب الى هين وحشد عدداً كبيراً من القبائل وزودهم بالسلاح والمؤن واغراهم بالمال . زحف بهم الى شبام واحتل معظمها واخرج كثيرا من يافع منها . ثم سار الى سيون ودخلها سنة ١٢٢١ واحتل الجانب الشرقي منها ولكن الحرب بينه وبين يافع استمرت سنة كاملة وارسل جزءاً من قومه الى تريم سنة ١٢٢٢ واستولى على بعض احيائها وعاد الى شبام ومات بها وفي رواية انه قتل واخفي نبأ مقتله في شبام ودفن بتريم وعندما علم اتباعه بوفاته انسحبوا من سيون وتريم وبذلك عادت السلطة الى يافع في سيون وتريم ، كما اخذ نفوذهم يقوى في شبام .

ولما وصل الخبر الى عمر بن جعفر وكان بالهند بما حدث لأبيه سافر الى حضر موت ونزل عند اخواله آل علي جابر في خشامر وكان معه اربعون صندوقا مليئة بالحديد ظنها الناس ذهبا وتوسط آل علي جابر بينه وبين الموسطة في شبام على ألا يطالب بثأر أبيه مقابل ترشيحه لمنصب ابيه فيحكم نصف شبام. وعلى هذا الاساس تمت الاتفاقية وانتقل عمر بن جعفر الى شبام . ولم يكن عمر بن جعفر ذا شخصية قوية وحزم نافذفقد قبع في قصره وترك الامر لبعض حاشيته الذين لا يهمهم شيء سوى جمع المال ولو من طريق غير مشروع لذلك تقلص نفوذه في شبام . وكان في استطاعة يافع ان يجمعوا كل السلطة في ايديهم وينفردوا بالحكم لولا اشتداد الخلاف والتنافس فيما بينهم على المناصب الكبرى . ورأى السلطان عمر بن جعفر ان يقوى مركزه ويوطد سلطانه فاحضر عددا كبيرا من فخائذ آل كثير فازدادت التكاليف عليه واشتدت حاجته الى المال لذلك لجأ الى فرض الضرائب الثقيلة واضطر بعض التجار الى الاستدانة لدفع الضرائب المطلوبة كما اضطر البعض للاستعانة بيافع لحراسة متاجرهم التي تعرضت للنهب والسلب .

ساءت الحالة في شبام واقفرت اسواقها من التجار ورجال الاعمال ذهب بعض الشخصيات البارزة من آل الكثير الى العقاد واستنجدوا بالثري عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري وتعهدوا له بتسليم امر شبام اليه . وطمع عمر بن جعفر في حكم شبام وهجم بقوم من آل كثير ومن يافع الضبي على شبام وعجز السلطان عمر بن جعفر بن علي الكثيري عن الدفاع فسلم المدينة لهم سنة ١٢٣٤ وقام بالامر عمر بن جعفر ابن عيسى خير قيام وعاد التجار الفارون الى ديارهم فعاد الى المدينة نشاطها وحركتها .

ومات السلطان عمر بن جعفر سنة ١٢٤٣ وقام بالامر عمه عبد الله ابن جعفر اذ كان ابنه منصور طفلا في السنة الخامسة من عمره وكان عبدالله ضعيفا خاملا اخذ يرهق بالضرائب حتى عاد الكساد الى اسواق شبام واستحكمت الازمة المالية حتى اضطر لبيع نصف مدينة شبام ليافع . وهكذا عادت السلطة الى يافع .

مذبحة المساجد

سافر الامير منصور بن عمر بن جعفر الكثيري الى الحجاز لتأدية فريضة الحج وعندعودته الى شبام عزل عمه الامير عبدالله بن جعفر وتولى حكم شبام وكانت مطامحه واسعة ، وفي الوقت نفسه كان قلبه مليئاً بالحنق على يافع ، اذ يرى انهم اغتصبوا ملك أجداده فأراد ان ينفرد بالسلطة كل الانفراد والا ينافسه في ذلك انسان ولكنه يعتقد كل الاعتقاد انه لا يستطيع بلوغ تلك الامنية ما دام في حضر موت قوم من يافع ، وبعبارة اخرى ما دام في شبام جماعة من اليافعيين لذلك اخذ يترقب الفرص للقضاء عليهم ويتآمر لذلك مع آل كثير ، ونجح الى حد بعيد في القاء بذور الشقاق بين رجالات الموسطة في شبام حتى اذا

بلغ التنافس بينهم على الرئاسة أقصى حدوده وأخـــذ كل من ناصر جابر النقيب اليافعي وعلي بن عبد الكريم الجهوري اليـــافعي يكيل الشتائم والسباب والتهم للآخر دخل بينهما متظاهراً بالصلـــح فيتصل بالنقيب مظهراً له استعداده لمساعدته ضد خصمه ثم يذهب إلى الجهوري ويتظاهر له بما تظاهر به للنقيب ، وأدخل السلطان منصور جماعة من آل كثير سراً الى شبام . وفي ليلة عيد الفطر سنة ١٢٦٠ وقد خـرج معظم يافع من شبام إلى أهاليهم في القَطْن أمر عبيده ان يكمنوا في المساجد وقت الافطار وكانت يافع محافظة على صلاة المغرب فلما حضروا فتك بهم العبيد وبلغ عدد القتلى منهم خمساً وثلاثين نفساً .

لقد قتل السلطان منصور عشرات من يافع في أقدس الاماكن وأطهر البقاع . قتلهم وهم عزل من السلاح لأنهم كانوا في المسجد يصلون، يا لهول هذا الغدر ، ولكن المطامع الجشعة طغت على عقله وجردته من الايمان فلم يخشَ الله تعالى ولم يقم وزنا ليوم الحساب، ومـــن غرائب الدنيا ان بعض ادعياء الصلاح والتقوى برروا فعلة منصور التي فعلها او الجريمة الشنيعة التي اقترفها ، فقد أرسل عبدالله بن عمر بن يحيى باعلوي كتابا مؤرخا في ١٠ شوال سنة ١٢٦٠ الى السلطان منصور مظهراً له استحسانه لتلك المذبحة .

ولم يكتف منصور بذلك فقد أجهز ليلة عيد الحجة سنة ١٢٦٠ عـلى حصن من حصون آل الحلاقي يقال له حصن معمر فأحرقه بالبـــارود فسقط على من فيه من الرجال والنساء والاطفال .

وحاصر مدينة خشامر مقر أخواله آل علي جـابر الذين نشأ بينهم وأنشأ منصور حصوناً (القاهرة وسهالة وغرفة بشير) واستولى عنـوة على حصن السعيدية وطرد منهـا حاميتهـا من آل عبد العزيز ، وقوى مركز العقاد ، وجهز جيشا من العوامر وآل باجري وآل كثير ،

وأخذ يضايق فخائذ يافع في مضاجعهم ويقلق راحتهم ويتحرش بهـم ويتحين الفرص للتنكيل بهم والقضاء عليهم .

وليس من شك ان مذبحة المساجد أثارت غضب يافع وأثارت الالم في كل من في قلبه مثقال ذرة من الرحمة من غير يافع . وليس من شك ان محاصرة منصور لخشامر وتحصينه العقاد وبناء الحصون وتهديده ليافع . كل ذلك نذير لهم بالقضاء والفناء .

التجاء يافع الى القعيطي

عندما ساءت حالة يافـع وتفرقت كلمتهم وذهبت ريحهم وبدأت الدولة الكثيرية بالغرف تنهض وتوطد دعائمها ، اجتمعت فخائذ يافـــع بالقَطْن وتبادلوا الاراء فيما بينهم لاسترداد سلطانهم ودفع ما يحيط بهم من الاخطار والرزايا ، ولكن الذخائر كانت قليلة ولا طاقة لهم بنفقات الحرب ضد آل كثير ، لذلك قرّ رأيهم على الالتجاء الى الثري الكبير الجعدار عمر بن عوض القعيطي اليافعي المقيم في حيـــدر أباد الدكن ، للاستعانة به لتنفيـــذ خططهم وتحقيق غاياتهم على ان يولوه شؤونهم بحضرموت .

ولقد تأثر القعيطي بما حل بقومه يافع الى أقصى حدود التأثر ،فأرسل عامر عوض القعيطي باموال الى حضرموت واشترى مدينة الحوطة من آل العيدروس ، وسميت بعـــد ذلك حوطة القعيطي ، وتسمى الان (الريضه) تحيط بها غابات كثيفة من النخيل ومساحات واسعة من الاراضي الزراعية الخصبة .

ابتاع القعيطي الحوطة لتكون نواة لدولة يافعية بحضرموت ، ولما اقترف السلطان منصور ما اقترف من الجرائم الشنيعة ضد يافع ولما بلغت انباء مذبحة المساجد ودك حصن معمر بمن فيه من يافع الى الجعدار عمر ،

تألم أشد الألم وتحمس أيّما تحمس ، فجمع اصحاب الفكر من يافع وشاورهم في الامر ، وقيل ان الشاعر الشعبي سعيد باعطوة ارسل قصيدة للجمعدار عمر القعيطي يستثير حفيظته ويدفعه لنجدة يافع .

وفي رواية ان الشاعر الشعبي ناصر باعطوة ، دخل على الجمعدار عمر في جمع من يافع في مكتبه بحيدر اباد ، وكان باعطوة متلثما بطرف ردائه فقال ، الجمعدار : « ماذا دهاك يا عطوان ؟ » فقال : « لا شيء يا سيدي سوى انني اشتم رائحة جلود محروقة بالبارود » ويقصد بذلك دك منصور لحصن معمر بن فيه من يافع ، فتأثر الجمعدار عمر اشد التأثر وارسل عبديه الماس عمر وعنبرا تحت رياسة ابنه محمد وزودهم باموال ، طائلة وعند وصولهم الى القطن سنة ١٢٦٠ اشتروا حصون الكروس من سعيد بن حسين بن علي الحاج ، ثم ارسل الجمعدار عمر ابنه الثاني عبد الله في سنة ١٢٦١ ثم الحقه بعلي وعوض بطلي الحضرمي وبصحبتها بقية افراد الاسرة وتكوّن للقعيطي جيش بلغ تعداده ٦٠٠ جندي من يافع كما في روايه باعباد .

وفي سنة ١٢٦٤ اشتدت المناوشات بين يافع وآل كثير واستطاع يافع رفع الحصار عن خشامر بعد معركة عنيفه ، واندفع جيش منصور الى ضواحي شبام بعد سقوط حصون القاهرة وسهالة وغرفة بشير في يد يافع .

وبعد ان استولى يافع على بعض مراكز الشنافر هجموا على سحيل آل مهري في اواخر ذي القعدة سنة ١٢٦٤ ولكنهم فشلوا لقوة دفاع آل كثير ، ثم حملوا على احد الحصون المنيعة على مقربة من السحيل ، وكان فيه جماعة من آل كثير وعلى رأسهم ريس بن عبود ، وقد اصيب برصاصة في احدى عينيه ، وبعد مقاومة عنيفة اضطر ريس بن عبود الكثيري لمفاوضة يافع في التسليم على ان يعطوه ورجاله حرية العودة الى

شبام فأجابه يافع الى ذلك .

وهكذا احتل يافع هذا الحصن المنيع ولكن بعد ان دفعوا الثمن غاليا ، فقد كان من بين القتلى شخصيات بارزة امثال : عبد الله بن عبد الحبيب بن قاسم بن علي جابر وصالح عمر بن علي الحاج .

وبسقوط هذا الحصن في يد يافع أصبح سحيل آل مهري مهدداً بالسقوط ، وابتاع يافع حصن سعيد بن بدر بن مهري ، ثم استمرت غارات يافع على المناطق الكثيرية وكبدوهم خسائر فادحة في الارواح والاموال ، وهكذا تحول موقف يافع من الدفاع الى الهجوم .

عبود بن سالم يقود جيشا

شعر آل كثير بالخطر يدنو اليهم ويحدق بهم وينقصهم من أطرافهم واستطاع أقطابهم وفي مقدمتهم الأمير عبود بن سالم الكثيري ان يوحدوا صفوف قبائلهم ويجمعوا شملهم ويقربوا بين وجهتي نظر آل عبدالله وآل عيسى بن بدر .

لقد حشد عبود بن سالم فخائذ آل كثير ومواليكهم وسار بهم لمقاتلة يافع ، وفي ذي أصبح سمعوا صوت الصائح بمغار القوم فاتجهوا نحوهـا فعرفهم القوم وكروا عليهم بخيلهم ومطاياهم وقتل احد العبيد ، وكاد القوم يحيطون بالأمير عبود لولا أنه نجا بالهرب الى شبام .

وقيل انه اتفق مع السلطان منصور بواسطة آل يماني على ان يعطيهم ناصفة شبام بثمن وعلى ان يقوم بنصف تكاليف الحرب ضد يافع ، وعلى منصور النصف الآخر يخصم من ثمن ما اعطاهم ، وان تكون المصروفات وايرادات البلد على يد آل عبد الله والحكم لمنصور ولحاشيته .

وعاد الامير عبود إلى سيون بعد ان حصن مدينة شبام والسحيل والعقاد ، ومن سيون ذهب الى تاريم ، وهناك جهز جيشاً من

العوامر وآل باجري والشنافر ، وسار بهم ليلة الخميس آخر القعدة سنة ١٢٦٤ الى الغرفة في طريقهم الى شبام ، فأضافهم منصب باعباد ، وفي ذي اصبح اضافهم حسن بن صالح باعلوي ودعا لهم بالنصر في صلاة الجمعة ، وعلى مقربة من النقر مركز قيادة يافع قسم جيشه ثلاث فرق على كل منها قائد كثيري ، ثم هجموا على يافع ، وجاء السلطان بجيشه من الشرق ، وبلغت المعركة اقصى حدود العنف ، وتحت نيران حامية انسحب يافع واحرق آل كثير اكواخهم بمن فيها من المرضى والجرحى وتحصن جماعة من يافع في مسجد النقر وباتوا فيه فكر عليهم آل كثير واخرجوهم منه ، وكان فيه من رؤساء يافع عبد الحبيب بن بوبك بن نقيب ، واحتفظ يافع بالحصن الذي اشتروه من سعيد بن بدو بن مهري وبالحصن الذي بنوه على مقربة منه على الرغم من حصار آل كثير لهما ، وذات ليلة اراد يافع امدادهم بالذخيرة والغذاء والماء فصدهم آل كثير ، واخيراً هجموا على احد الحصنين واسروا حماته وكانوا اربعة من المماليك وساروا بهم الى شبام بالطبول والاناشيد ، ثم احاط آل كثير بالحصن الاخر وكان فيه تسعة من يافع وحاصروهم ومنعوا عنهم الماء والغذاء فاضطروا للتسليم على الامان في وجه سالمين بن عبد الله بن طالب ، وهكذا استطاع آل كثير رفع الحصار عن شبام بقوة السلاح .

جلاء يافع عن تريس

كان امر مدينة تريس في يد النقيب اليافعي ولوقوعها وسط المناطق الكثيرية اصبحت من اخطر الجيوب عليهم ولذلك فكروا في اجلاء يافع عنها واحتلالها ، فأخذوا يشددون الحصار عليها ، واستطاع ابو بكر ابن عبد الحبيب النقيب وعبد الله بن صالح بن ناصر الوصول الى القطن لطلب النجدة من يافع في جمادي الاول سنة ١٢٦٤ ، وعلم آل كثير ان

نجدة قادمة في طريقها الى تريس فكمنوا لها على مقربة من تريس ، ولحسن الحظ ترك يافع معظم ذخائر النجدة ومؤنها في خشامر عند آل علي جابر خوفاً من وقوعها في يد آل كثير ، وعلى مقربة من حصون العوانزة وكان الظلام حالكا انقض عليهم آل كثير ، فانهزم يافع لقلة عددهم ونفاذ ذخيرتهم وتكبدوا خسائر فادحة في الارواح ونجا باعجوبة عبدالله ابن صالح ودخل مدينة تريس ، اما ابو بكر عبد الحبيب فقد لجأ الى حصن بئر بوبك وكان فيه عبد لآل النقيب ، وفي اواخر شهر جمادي الاول سنة ١٢٦٤ حشد آل كثير جنوداً كثيرة من الشنافر والعوامر وجماعة من قبائل القبلة يرأسها الشريف احمد بن مبارك من اهل بيحان وهجموا على تريس واستولوا على جزء منها ، واستمر الهجوم امام مقاومة عنيفة من يافع وعبيدهم الذين تحصنوا في بعض المنازل ، وحاول آل كثير وضع اكياس من البارود تحتها لهدمها بمن فيها من يافع ولكنهم فشلوا ، واخيرا ضربوا نطاقا من الحصار حولهم ومنعوا عنهم المؤن والذخائر والماء سبعين يوما ، وكاد يافع يموتون جوعاً وعطشاً فسلموا المدينة لسالمين بن عبد الله بن جعفر بن طالب قائد آل كثير على شرط سلامة ارواحهم وعودتهم باموالهم الى القطن ، وقام سالمين بن عبد الله وعلي بن مبارك بن عانوز بتنفيذ شروط التسليم .

استنجاد يافع بالقعيطي

بعد أن فشل يافع في محاصرة شبام وبعد ان تكبدوا خسائر في الارواح والاموال استنجدوا بالجمعدار عمر بن عوض القعيطي اليافعي بحيدر أباد الدكن . وقيل ان وفداً منهم وعلى رأسه حسين بن علي الحاج وحسين بن صالح المصلي ذهبوا اليه وأحرق أحدهم عمامة من الحرير المقصب بين يدي الجمعدار ، فثارت حميته وأرسل أمين أمواله محمد بشهر

الى بلاد يافع وجهز الفي مقاتل وعلى رأسهم صائل بن ناجي وعلي بن حسين الضباعي والحريبي والبكري ومحمد بن سالم بن الشيخ أبي بكر، وقبل وصولهم اقترح عبدالله بن عمر بن يحيى على السلطان منصور ان يغتنم الفرصة فيهجم على يافع بالقطن قبل أن يصلهم المدد، وأرسل بعض كبار العلويين للفضلي أمير الشقرا ليمنع اليافعيين من المرور في أرضه فأجابهم إلى ذلك ولكن محمد بشهر رشاه بمبلغ كبير من المال فسمح لهم بالمرور في أقاصي بلاده ليوهم العلويين وآل كثير انهم إنما مروا من غير أن يعلم بهم .

وصل يافع الى المكلا في محرم سنة ١٢٦٥ فاستقبلهم النقيب صلاح الكسادي اليافعي واكرمهم اكراما عظيما وارسلهم الى القطن بعد ان امدهم بالمؤن والذخائر .

سقوط العقاد

تقع مدينة العقاد على مقربة من شبام ، وموقعها الستراتيجي هام جداً لشبام ولذلك حصنها آل كثير تحصينا قويا حتى اصبحت اهم خطوطهم الدفاعية ، وكانت تقيم فيه اسر من آل عيسى بن بدر ، ويافع يعلمون كل العلم انه لا سبيل لاحتلال شبام الا بعد دك حصون العقاد او احتلالها ، لذا حملوا عليها بمدافعهم الثقيلة واصلوها ناراً حامية واحدثوا بها اضرار جسيمة وقتلوا عدداً كبيراً من حماتها وجرحوا كثيرين ، واضطر آل كثير الى التسليم من غير قيد ولا شرط ، ودخل يافع المدينة فرحين بما احرزوه من النصر وكان ذلك في صفر سنة ١٢٦٥ ، وهكذا تحطم اهم خط دفاعي كان يعتمد عليه السلطان منصور كل الاعتماد . وقيل انه كان في بعض الدور اولاد عيسى بن جعفر وبعض الشنافر طلبوا الامان من يافع على ان يسلموا لهم الدور

بما فيها من الذخائر فاجابوهم الى ذلك ، ولكن عندما خرجوا القى عليهم القبض وارسلوا الى حوطة القعيطي وكانوا احد عشر شخصاً .

وظهرت بوادر النشاط في آل كثير في خمور فقد قامت دورياتهم تهدد مواصلات يافع ، فسار اليهم جماعة من يافع وقضوا على جيوب المقاومة واوكار العصابات التي تقع بالقرب من خمور .

معاهدة بين يافع وآل كثير

تقع قرية آل عبد العزيز في الشمال الغربي لشبام ويقع سحيل آل مهري على مقربة منها والبلدتان - ويقيم فيهما آل عبد العزيز وآل بلظراف الكثيريون - من اهم المراكز الدفاعية لشبام ، وكانوا يحملون في قلوبهم الكره للسلطان منصور لجوره وشدته ، ولقد اغتنم الامير عوض ابن عمر القعيطي اليافعي هذه الفرصة فتحالف معهم سنة ١٢٦٥ تمهيداً لاحتلال شبام .

محاصرة شبام

والان وقد سقطت في يد يافع العقاد وخمور وحذية وما جاور هذه البلدان من مساكن آل كثير ، اخذ يافع سنة ١٢٦٦ يشددون الحصار على شبام ويقطعون مواصلاتها بنهد والقبلة ، ولقد نجحوا في ذلك الى حد بعيد .

يافع في تريم

حين انهارت الدولة الكثيرية وزال سلطانها من تريم سنة ١٢٥٠ آل أمر تريم الى آل لبعوس من يافع ، ولقد استطاع الامير عبد الله عوض غرامة اليافعي بحزمه وسياسته ان يقوم بالامر وينشر فيها العدل والامن

ولكن لسوء الحظ لم تستمر هذه الحالة، فقد قام آل عبد القادر ينافسون آل غرامة في حكم تريم ويعملون في الخفـــاء لاضعاف قوتهم ، وأشتد الخلاف بين الامير عبد الله غرامة وانصاره من سكان حصن الزناد وبين آل عبد القادر واشياعهم سكان النويدرة ، وتطور النزاع الى مناوشات بين الطرفين ، وتدخل في الامر الامير غالب بن محسن الكثيري ، وقيل عبد الله بن محسن واتصل بآل عبدالقادر لما بينه وبينهم من الصداقة القوية، وبدلا من ان يصلح ذات البين اعادها خدعة وقام باكبر قسط في اشعالها بعض العلويين من سكان سيون وتريم لكراهيتهم وبغضهم لابن غرامة لاعتناقه مبدأ الوهابيين الذين يحرمون البدع والخرافات ويعتبرون التوســل بالاموات شركاً ولسوء الحظ مات الامـــير عبد الله بن غرامة فجأة فخسرت يافع رجلا سياسياً حازماً عادلاً حراً كريماً ، وخلفه ابنه عبد القوي وكان ضعيف السياسة قصير النظر ساذجاً يحسن النية في كل شيء سريع التأثر باصحاب السلطة الروحية من العلويين وغيرهم حتى اصبح آلة صماء في يدهم ، ونجح اصحاب السلطة الروحية في عقد محالفـــة عسكرية سنة ١٢٥٠ بين آل عبد الله الكثيري وبين آل عبد القـادر اعداء ال غرامة ، وجاء آل عبد الله بقوات الى تريم يوم ٥ رمضان سنة ١٢٦٢ بحجة مساعدة ال عبد القادر ونشط جماعة من ال كثير ومن اصحاب السلطة الروحية في بث الخوف في قلوب ال غرامة وانصارهم ، واخيرا أغروا الامير عبد القوي غرامة على التنازل عن حصته من تريم للامير غالب بن محسن الكثيري مقابل اربعة الاف ريال ، واجابهم عبد القوي الى طلبهم وهاجر هو حاشيته وانصاره الى القوز مساكن ال مرساف من ال تميم سنة ١٢٦٢ وطالب غالب بن محسن الكثيري ما تعهد به له من المال ولكن من غير جدوى ، وهكذا انخدع عبد القوي نتيجة سياسته الحرقاء ودبرت له المكيدة

فوقع في حبالها وحاول استرداد حقوقه السياسية ولكن ذهبت محاولاته ادراج الرياح ، وليس من شك ان سبب ضياع سلطان يافع على تريم انما هو التنافس فيما بينهم على السلطة والتنازع على الحكم .

يافع في سيون

عاصرت سيون امارات مختلفة المبادىء والاوضاع حتى اذا جاءت سنة ١٢٤٠ بدأت سلطة يافع تظهر ويتسع نطاق نفوذهم السياسي . وفي سنة ١٢٦٤ اصبح الامر كله في يدهم ولم يبق لآل كثير سوى اسماء جوفاء لا تحمل معنى ، ولكن سرعان ما اخذت سلطة يافـــع تتصدع وتنهار لتنافسهم على الزعامة والرياسة ، ففريق منهم يريد ان يكون امر سيون لعلي بن حسين بن الشيخ علي ، وفريق آخر يريد سالم حسين بو طلعة الشرفي واشتد الخلاف والتنافر والشقاق ، واخيراً ثارت بينهم المناوشات وتبودل فيها اطلاق النار من الجانبين .

واغتنم بعض الشخصيات في سيون ضعف يافع وتخاذلهم وتنافسهم على الرئاسة فأخذوا يعملون سراً لاقصائهم عن سيون واسترداد سلطة آل كثير ، وقد نجحوا في ذلك الى حد بعيد ، فقد انسحبت من ديارهم فراراً من الضغط والجور ما عدا آل الشيخ علي فقد فضـــلوا البقاء لمصاهرتهم لآل طالب .

غزو سيؤن

ليس من شك ان سقوط سيون في أيدي آل كثير ترك في نفوس يافع أثراً سيئا اليا ، وليس من شك ان اهم آمالهم استرداد سلطتهم عليها ،

ولقد ظهر نشاطهم في خشامر حيث تركزت قواتهم بشكل واضح وتحمسوا لاسترداد ما اغتصب منهم من البلدان وقد أستردوا العقاد وخور وحذية وما جاورها من الديار وحاصروا مدينة شبام حصاراً شديداً .

وفي ليلة الاثنين ٢٥ من ربيع الاول سنة ١٢٦٥ سار من يافع ثمانماية مقاتل لغزو سيون وقابلهم على مقربة من سيون عبد من عبيد عبد الحبيب بن صالح بن محمد سعيد الجحوشي وكان خبيراً بشوارع سيون وحصونها ومنافذها فرسم لهم خطة الهجوم ، ولما علم آل كثير بذلك قام الامير عبود بن سالم الكثيري بحشد قبائل آل كثير والعوامر وآل باجري للدفاع عن سيون واقصاء يافع عنها ، وخرجت القوات الكثيرية من سيول بقيادة الامير عبدالله بن صالح بن محمد الكثيري الى مسيال سر حيث لا طريق ليافع الا منه وكان البرد شديداً ، وقبيل مطلع الفجر انصرفوا الى القرين من اعمال تريس ولكن القوات اليافعية مرت بعد ذلك في المسيال ووصلوا الى سيون والناس يؤدون صلاة الصبح ، وهناك دخل فريق منهم الى الحوطة واستولوا عليها ، وفريق دخل الوسطة على مقربة من حصن الدويل وفريق ثالث دخل السحيل واحتله ، ودخل فريق اخر دار خلع احمد والدجن ومسجد جوهر .

وفي اليوم الثاني وصلت الى سيون قوات كثيرة من آل عبدات وآل فلهوم والعوانزة لنجدة دولة ال عبد الله ، واستمرت الحرب سجالاً بين الفريقين اياما وهجم اربعون من عبيد آل كثير وعلى رأسهم فرج غالب ، على مسجد جوهر ، وكان فيه سبعة من عبيد يافع هرب ثلاثة منهم واحتمى اربعة بالمأذنة وأحتل المهاجمون المسجد وأقبل جماعة من يافع لاسترداد المسجد ولكنهم فشلوا .

وفي الليل تسلل العبيد من المسجد واحداً بعد الآخر خوفاً من هجوم يافع عليهم .

وكادت ذخائر يافع تنفذ فأرسلوا الى القطن يطلبون المدد ولكن من غير جدوى لان آل كثير واعوانهم من القبائل محاصرون سيون من جميع الجهات ، وحاولوا فتح ثغرة فهجم جماعة منهم على القرن واحتلوا جانباً منه ، ولكن الامير عبدالله بن احمد وعبيده قاوموهم بكل قوة .

واستطاع اربعمائة مقاتل من يافع التسلل من سيون في طريقهم الى القطن لجلب مؤن وذخائر ، ومروا ليلة الاثنين ١٢ جمادي الاول سنة ١٢٦٥ على مقربة من مخافر آل كثير فتركوهم يمرون حتى لم يبق منهم سوى ثمانين فأطلقوا عليهم النار وجاء الى جبل المحترقة آل الفاس وآل العاس والعوانزة وقتلوا منهم ثلاثين واسروا احد عشر نفراً جاؤا بهم الى تريس ثم اوصلوهم الى تريم وجرح كثيرون من الفريقين ، وقد تركت هذه الهزيمة التي لحقت بيافع أثراً سيئاً في نفسية قومهم بسيون .

وأخيراً اجتمع محسن بن علوي وآل الضباعي بدار علي بن جعفر السقاف بيشمة للمفاوضة في الصلح بين الفريقين ، ولكن آل الضباعي وهم السقاف لم يحضروا في الميعاد المحدد لانهم علموا ان عدداً كبيراً من لبعوس قادم ليافع من الامير محمد بن عمر القعيطي ولما تأخر وصول المدد وكادت الذخيرة تنفذ اجتمع زعماء الفريقين في دار علي بن جعفر السقاف وكان الامير علي بن احمد الكثيري وجماعة من آل باجري نائبين عن آل كثير ، وكان علي بن حسين الضباعي اليافعي نائبا عن يافع ، واتفق الفريقان على ان ينسحب يافع (الغرباء) وهم الذين اتى بهم محمد بشهر من بلاد يافع ، ولكن الضباعي عاد الى محسن بن علوي وطلب اليه ان يكون الصلح ليافع جميعهم التلد والغرباء ، فرفع محسن الامر الى الامير علي بن احمد واجتمع الطرفان في دار عبدالله بن سالم الحبشي ثم في دار

سالم عبود بحرق وحضر عن يافع (التلد) عبد الحبيب بن بوبك بن نقيب وصالح بن سالم بن يحيى عمر وسعيد عوض المرفدي ، وبعد مفاوضات انسحب يافع (الغرباء) من سيون ليلة الجمعة ٤ من جمادي الاخرة سنة ١٢٦٥ تحت حراسة جنود من آل كثير .

وصعب البقاء على يافع (التلد) وكان عددهم لا يتجاوز ١٥٠ فانسحبوا من ديارهم واجتمعوا بالسحيل ، واقترح عليهم عبد الحبيب بن بوبك ان يخرجوا افراداً وجماعات ، وانذس عشرون منهم في يافع (الغرباء) اثناء انسحاب هؤلاء ولجأ جماعة منهم الى حصن الحد ليدافعوا الى آخر رمق في حياتهم ، واستمر عبد الحبيب يحثهم على الانسحاب فلم يجيبوه فتركهم وشأنهم ، وخرج هو وولداه حسين وسالم وعمر بن سالم بن حسين بن يحيى عمر وولده ثم لحقهم جابر بن صالح بن ناصر بن نقيب واثنان من العبيد فقابلهم جماعة مسلحة من العوامر بالجبل وقتلوا جابر ابن صالح وعبداً واسروا العبد الثاني ودخلوا به الى سيون ، واستمر البقية من يافع (التلد) في حصن الحد يدافعون بأقصى ما لديهم من بطولة وقوة ، واشار عبدالله بن عمر بن يحيى باعلوي بحرق الحصن بمن فيه من يافع ولكن آل كثير رفضوا ، ولما نفذت ذخائرهم وكادوا يموتون جوعاً وعطشاً عرض قائد الحامية وهو البطل صالح علي بوبك بن علي الحاج على الامير علي بن احمد الكثيري التسليم على ان يكون لهم حق الاقامة في سيون او العودة الى القطن . واخيراً اتفق الفريقان على ان يبقى جماعة من يافع رهائن لدى السلطان عبدالله بن حسن الكثيري بتريم ويخرج الرهائن من سيون وفيهم سعيد عوض المرفدي وسالم سعيد المصلي وعبد الحبيب بن احمد صالح وصالح بن سالم بن حسين وعبد الله بن محسن بن غالب بن يحيى عمر وغيرهم في يوم السبت ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٦٥ وباتوا في منزل آب عبد الغفار

باكثير في السحيل ، وانسحب الباقون صباح يوم الاحد ما عدا عبيد آل غرامة فقد اسروا ، وارادت الدولة الكثيرية ان تعتقل آل محمد سعيد الجحوشي وتصادر اموالهم ولكن المصلحين توسطوا في الامر على ان تجليهم الدولة الكثيرية من سيون ويأخذوا معهم ما يستطيعون حمله من ممتلكاتهم ، وهكذا جلا يافع عن سيون بعد ان حكموها نحو سبعين يوماً ، ولم يبق بها احد منهم سوى علي بن احمد هرهرة .

اطلاق سراح بعض يافع

كان لقبول يافع (الغرباء) الانسحاب من سيون ليلة الجمعة ٤ جمادي الاول سنة ١٢٦٥ وقع حسن في نفوس آل كثير ولذلك اطلق السلطان عبد الله بن محسن الكثيري سراح من اسر منهم في وقعة المحترقة وابقى في الاسر يافع (التلد) لأنهم رفضوا الانسحاب .

وأمر السلطان بقتل عبيد آل غرامة الذين كانوا في حصن الحد وعبيد القعيطي وآل عبد الهادي البالغ عددهم واحداً وعشرين نفساً .

ويقول ابن حميد ان أربعة من يافع تمكنوا من الفرار من السجن بعد ان حطموا القيود ، وهم : بوبك بن عبد الحبيب سلك طريق يشمة ولكن بعض آل كثير ادركوه في وادي شحوح وقتلوه رجزوا رأسه ودخلوا به الى سيون . والثاني غالب بن سعيد بن عبد الهادي . والثالث من بني ارض ، وقد نجاهما الله من الاسر والموت والرابع وهو الرباكي الذي القي عليه القبض وقتل .

اما كيف استطاعوا تحطيم قيودهم ، فقد قيل ان بعض محبيهم ادخل بضعة مبارد الى السجن داخل اقراص من الخبز قطعوا بها قيودهم وقتلوا الحارسين وهما من عبيد آل كثير وخرجوا من السجن ونجوا الا واحداً ادركه الناس في يشمة واحضروه الى الامير عبود بن سالم الكثيري

الذي اعجب بصراحته وبسالته حين سأله عن قاتلي الحارسين ، فقد حقن الامير دمه حين اعترف بانه واحد منهم .

نشاط يافع

وعلم اليافعيون بزحف الجيش الكثيري وتكتله في مرير لمحاصرة الشحر ، فأرسلوا الى امير المكلا النقيب صلاح بن محمد الكسادي وامير الشحر علي بن ناجي بن بريك ليقاوما كل غزو ويثبتا في مراكزهما مهما كلفهما ذلك من تضحيات ، وامدوهما باربعمائة مقاتل من يافع تحت قيادة سعيد بن حسين بن علي الحاج اليافعي ، وانضم اليهم جماعة من آل تميم وعلى رأسهم محمد بن سعيد بن شملان .

محاولة يافع احتلال شِبَام

لم يضعف نشاط يافع حول احتلال شبام ، ولم يدب اليأس الى قلوبهم حين فشلوا في الاستيلاء عليها ، فقد استمرت انظارهم متجهة اليها وآمالهم منصبة نحوها لجعلها قاعدة لدولتهم الجديدة ومركزاً لقيادتهم واعمالهم وهي بلا شك أحسن موقع لتوجيه الضربات لآل كثير . وتمهيداً لذلك عقد القعيطي معاهدة صداقة بينه وبين آل هضيل سكان الظاهرة التي تقع على مقربة من شبام وذلك يوم ١٣ ربيع الاول سنة ١٢٧٠ ، وآل هضيل فخذ من آل كثير عاهدوا القعيطي على ان يبقوا على الحياد ويسمحوا ليافع بالمرور لمحاصرة شبام والهجوم عليها لاحتلالها ، وقبل ذلك اي في شعبان سنة ١٢٧٠ عقد القعيطي مع ابن يماني التميمي معاهدة عسكرية .

ارسل القعيطي حملة من يافع وهجموا على شبام ودخلوها من الشمال

واحتلوا الشويرع ، وهناك دارت بين يافع وآل كثير معارك بالبنادق والسلاح الابيض ، ولما علم العوامر وآل باجري نبأ تلك المعارك جاؤا لنجدة السلطان منصور بن عمر الكثيري ، واستطاع السلطان منصور ان يؤثر في آل هضيل حلفاء يافع ويشتري ضمائرهم بالمال ، فقد نقضوا العهد وانضموا الى منصور وحاربوا وطعنوا يافع من الوراء ، واستمر القتال والمناوشات بين الفريقين نحو ثمانية شهور ، توقفت في خلالها حركة التجارة في شبام ودبت الفوضى فيها وانتشر التذمر بين التجار الامر الذي دفع بعضهم لمساعدة منصور بالمال لتحريض آل هضيل على تمزيق المحالفة بينهم وبين يافع ، ولم يكن ذلك حباً من الشباميين في آل كثير او كرهاً ليافع ، ولكن توقف مصالحهم التجارية وانقطاع مواصلاتهم بالخارج وتعرض اموالهم وممتلكاتهم للخسائر والاضرار كل ذلك دفع بعضهم لمساعدة منصور حين رأوا رجحان كفته .

موقعة المكلا البحرية

وفي ليلة حالكة الظلام وصل اسحق بن يحيى (١) بقواته في بضع سفن الى ميناء المكلا ولم يدر بخلده ان النقيب الكسادي على أتم استعداد لدحرهم واصلائهم ناراً حاميه ، فقد كان النقيب يقظاً حازماً باسلاً ، فعندما علم بوصول سفن الاعداء اصدر أمره الى حماة المدينة ليدحروهم وينزلوا بهم شر هزيمة ، وانطلق الحماة من يافع والمماليك في عشرات القوارب واحاطوا بالاعداء فبهت اسحق وقومه وانتشر الذعر بينهم وكانت بعض حصون المكلا تطلق عليهم قذائفها في شدة وعنف فانسحب المهاجمون ولاذوا بالفرار واتجهوا نحو الشحر للهجوم عليها ولكنهم لم يستطيعوا ان يرسوا بمراكبهم في الميناء لضحولته ولهيجان البحر وهبوب العواصف

(١) راجع صفحة ١٦٠ « في جنوب الجزيرة العربية » للمؤلف.

واخذت مدافعهم تطلق قذائفها على المدينة ولم يفلحوا في اصابة الاهداف لبعد المسافة ، ولم تقع خسائر في الارواح والاموال واخيراً بعد ان نفذت او كادت تنفذ ذخائر اسحق بن يحيى البحر بسفنه مخذولاً مهزوماً ، وهكذا فشل اسحق في اعظم محاولة للقضاء على يافع ، ولم يكن هذا الفشل لضعف تفكيره وقصر نظره ، فهو على جانب كبير من الذكاء والنشاط وقوة الشخصية وبعد النظر ولكنه سيء الحظ ، ويظهر انه لم يحسن ادارته العسكرية وان كان ذكياً نبيهاً نشيطاً فصيح اللسان قوي الحجة ولكنه لم يكن قائداً حربياً ، وكان يمكن ان يصيب شيئاً من الظفر والنصر لو لم يظهر يافع من الشجاعة والبسالة الشيء الكثير ولو لم يستميتوا في الدفاع عن كل شبر من اراضيهم بكل قوة وعنف .

اما الامير عبود بن سالم الكثيري القابع بجيشه في مرير فقد تلقى انذاراً شديد اللهجة من امير المكلا النقيب صلاح الكسادي اليافعي ، وخاف بعض رجاله عاقبة الانذار فانسحبوا ، ومن هؤلاء : محسن بن علوي السقاف السافي وعلوي بن سقاف بن محمد الجفري واحمد بن زيد بن سميط وابو بكر بن محمد بن احمد بن زيد الحبشي وشيخ بن عبد الله بن زين الحبشي وعبد الرحمن بن علوي السقاف وعبد الله بن حسين بن شهاب وعلي بن حسن بن حسين الحداد وعبد القادر بن حسن بن صالح البحر ومحمد بن محمد بن هاشم الحبشي .

ولم يرضخ عبود بن سالم لانذار الكسادي فثبت بجيشه في مرير حتى اذا أرسل الكسادي مدداً من يافع للأمير علي بن ناجي بريك والي الشحر ثارت الحرب بين الفريقين ، وكانت معركة عنيفة ابلى فيها يافع بلاء حسناً ، وانهزم جيش عبود على الرغم من كثرة عدده وعدده وعاد الى سيون .

مناوشات

في سنة ١٢٦٩ هجم يافع وآل تميم على حصون الوهد وابن صبرة

الواقعة شرقي المسيلة واحتلوها وغنموا اسلحة من عبيد آل عبد الله واسروا اربعة منهم فتحمس آل كثير وارسلوا قواتهم على ثلاث دفعات احداها تحت قيادة عبود بن سالم والثانية برياسة علي بن احمد الكثيري ، والثالثة بقيادة عبد الله بن صالح الكثيري وهجموا على حصون آل تميم الواقعة بين حصن ابن فلوقه وحصن بلغيث واحتلوها عنوة واسروا ثمانية من حماتها .

وجاء جماعة من آل تميم ومعهم مائتا مقاتل من المناهيل ورابطوا شرقي تريم وقطعوا المواصلات وبنوا حصوناً على مقربة من مضلعة ابن سهل ورابطوا فيها ، ولما علم آل كثير ساروا اليهم بقوم من العوامر وآل باجري ، واشتبك الفريقان في معركة عنيفة انتهت باندحار آل تميم .

السلطان غالب بن محسن الكثيري

في صفر سنة ١٢٧٢ جاء السلطان غالب بن محسن من حيدر آباد الى سيون ، وهو من اعظم الشخصيات الذين بذلوا كل مرتخص وثمين في تكوين الدولة الكثيرية الفتية ، وقام بدور كبير في الصراع الذي كان قائماً بين يافع وآل كثير ، وكانت حيدر آباد مهجره الوحيد وفيها ساعده الحظ فاثرى وسطع نجمه وعلا اسمه واصبح من الرجال البارزين على ان مركزه كان دون مركز الجعدار عمر بن عوض القعيطي ، ولذا قام التنافس بين هذين البطلين ، وتطور هذا التنافس الى لون آخر من التعصب القومي حين اشتد الصراع في حضر موت بين يافع وآل كثير ، فقد نشط غالب بن محسن في نشر الدعاية ضد القعيطي واخذ يهدده بالانتقام من اولاده ومن يافع بحضرموت ، ولكن القعيطي كان اقوى منه نفوذاً وجاهاً واكثر منه مالاً ودهاء ، فلم تؤثر فيه مساعي غالب ولم

تلحق به ادنى ضرر، ولما شعر بالفشل والخذلان قفل راجعاً الى حضرموت حاملاً معه اموالاً كثيرة ، وقيل ان ملك حيدر اباد خشي قيام الفتنة بين العرب عندما اشتد النزاع والصراع بين البطلين فاصدر امره بترحيل غالب عن ولايته .

القعيطي يقود جيشاً

جهز الامير عوض بن عمر القعيطي اليافعي ٦٠٠ مقاتل يافعي وامدهم بكل ما يحتاجون اليه من المؤمن والذخائر وتولى بنفسه قيادتهم وسار بهم نحو شبام في يوم ٢٧ جمادى الاول سنة ١٢٧٤ ، ولما وصلوا الموزع (الحزان) بدأت المناوشات بينهم وبين آل كثير ، وكان حصن السعيدية المنيع يقف حائلاً دون هجوم يافع على شبام ، فقد حصنه السلطان منصور بن عمر الكثيري باربعين مقاتل من عبيده وجعل عليهم مبارك العريان بن عبد العزيز الكثيري ، ويقول باعباد ان مبارك العريان حين شعر بقوة يافع المعنوية واستماتتهم في الهجوم فكر في تسليم الحصن مقابل مبلغ من المال ، وفي ليلة حالكة الظلام انسل من الحصن وذهب رأساً الى مركز قيادة يافع وقابل الامير عوض واتفق معه على ان يمهد له الاستيلاء على الحصن مقابل ٥٠٠ ريال ، وعاد مبارك الى الحصن وحين استولى النوم على جنوده صعد الى السطح واشعل ناراً فتقدم ثلاثون من يافع ونقبوا جدار الحصن ودخلوه فبهت الحماة وقامت معركة عنيفة بالسلاح الابيض واحتل يافع الحصن واسروا عددا من رجاله ، وهكذا سقط في يد يافع حصن منيع . اما خطوط دفاع آل كثير في بزرق والركز فقد دكتها مدافع القعيطي الثقيلة وغادرها المدافعون بعد ان اشتبكوا مع يافع بالسلاح الابيض تاركين وراءهم عدداً كبيراً من القتلى والجرحى .

الصلح بين الفريقين

لا شك ان سقوط السعيدية ودك خطوط الدفاع جعل مدينة شبام تحت رحمة يافع ، ولقد بذل السلطان منصور كل ما في وسعه لجلب الامدادات ولكن من غير جدوى فقد خذله قومه آل كثير ، ويقول السيد ابن عبيد الله السقاف ان السلطان منصور انسل في اثناء حصار يافع لشبام وذهب الى سيون وكان بها السلطان غالب بن محسن الكثيري وشكا حاله اليه وقال له « اعطوني بلاداً من بلدانكم واسلم لكم شبام ، فقال له عبود بن سالم الكثيري نعطيك مريمة او تريس ، فاغتاظ السلطان منصور وقال اتعطوني الاتان من بعد الفرس ، لأحفرن لكم حفرة لا تنجون منها ابدا ، وعاد الى شبام وشرع يفاوض الامير القعيطي بواسطة آل سميط ، واخيرا باع له النصف الغربي لشبام ودخلت جموع يافع شبام يوم الخميس ٢٠ جمادي الاخرة سنة ١٢٧٤ ، وفي يوم الجمعة من الشهر المذكور جاء السلطان عوض بن عمر القطيعي وتسلم نصف شبام .

جلاء يافع عن غيل بن يمين

عندما قوي مركز الشناظير ، وهم فخذ من يافع وتوطدت دعائم سلطتهم في غيل بن يمين وخاف الحموم على سلطتهم فاخذوا يفكرون في زحزحة يافع من غيل بن يمين ، وانتهز آل كثير الفرصة وحرضوا قبائل الحموم على التمرد والقيام ضد يافع واخراجهم من ديارهم عنوة وامدوهم بسلاح ومقاتلين من آل جابر والعوامر .

وهجم الحموم وانصارهم على يافع ، واحاطوا بهم من كل جانب واستمر يافع يناضلون ويكافحون اربعين يوما ، ولما نفذ الماء والزاد

والذخيرة سلموا حصونهم الى آل كثير في رجب سنة ١٢٧٥، وانسحبوا باسرهم الى القطن بعد ان جردوا من كل املاكهم .

وقعة « الحصاة »

والحصاة حصن شاهق كان مقراً لعبود بن محمد زعيم آل حرير الجعديين ، كان هذا الزعيم يتحدى القطيعي ويجاهر بالعداء لكل يافعي وكان حصنه وكراً لآل كثير يلجأون اليه بعد شن غاراتهم على يافع ، ولقد تضرر يافع من هذا الحصن وتكبدوا خسائر فادحة ، لذلك ارسل الامير عبدالله بن عمر بن عوض القعيطي جماعة من يافع وامرهم الا يعودوا الا بعد احتلال الحصن وابادة من فيه من المقاتلين او اسرهم .

وفي ليلة حالكة الظلام هجم يافع على الحصن ولم يكن حماته يتوقعون هذا الهجوم فوثب بعضهم من الشبابيك حذر الموت وقتل نجل الزعيم واسر البعض ، كان ذلك ليلة ٢٥ رمضان سنة ١٢٧٦ وبعد الاستيلاء على هذا الحصن امنت الطرق بين بلدان القطن وشبام وعاد السلام .

آخر مؤامرة للسلطان منصور

واخيراً بعد ان خانه الحظ في تدبير مكايده ومؤامراته فكر في ان يقوم بمذبحة ثانية ليضمها الى مذبحة المساجد ، فكر في اغتيال السلطان عوض بن عمر القعيطي وكبار مستشاريه واعوانه من يافع والعبيد ، أمثال : عبدالله مانع بن علي جابر اليافعي وسالم بن علي بن هرهرة اليافعي وعمر عبدالله بوبك اليافعي والحاج الماس وغيرهم . اجتمع ببطانته

في قصره وشاورهم في الامر واتفقوا على ان يدعوا السلطان القعيطي وكبار رجاله لحضور حفلة ختان نجله ثم يغتالهم عن بكرة ابيهم ، ويقول باعباد انهم وضعوا اكياسا من البارود على البساط المعد لجلوس المدعوين من يافع ، وشاء الله ان ينجو القعيطي واعرانه من المكيدة الشنيعة التي دبرها لهم حليفهم منصور ، فقد سمعت خادم عجوز كل ما دار من حديث المؤامرة في قصر منصور والخادم من احدى الاسر الفقيرة التي كان يواسيها السلطان عمر القعيطي بالمال ويعطف عليها كل العطف ، قابلت الماس عمر في طريقها الى قصر السلطان القعيطي واخبرته بمؤامرة السلطان منصور الكثيري ، فهرع الماس عمر الى القعيطي ، ودهش القعيطي واعتراه الذهول لا خوفاً من الموت فهو الباسل المقدام ولكن لان محالفة قوية تربط السلطانين برباط الود والولاء ولم يحدث من يافع ما يعكر صفو تلك الصداقة ويدفع بمنصور الى الخيانة والغدر .

مقتل السلطان منصور

لقد تعددت مكايد منصور وتكررت مؤامراته ضد يافع واخرها هذه المكيدة الشنيعة التي لو نفذت لغيرت مجرى التاريخ الحضرمي ، وليس من الحكمة ولا من الحلم التسامح واللين من جانب القعيطي فقد تكون الشدة احيانا من الحلم وفي هذا يقول المتنبي :

من الحلم ان تستعمل الجهل دونه اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

لذلك رأى السلطان عوض وأعوانه من يافع ان يدعوا السلطان منصور الى مأدبة ويفتكوا به وببطانته ، وتحرك السلطان منصور من قصره الى قصر الخضراء واجلسوه في غرفة عليا وهناك ضربه احد اليافعيين بالسيف فسقط جثة هامدة ، ثم قتلوا ابن عمه عبدالله بن علي بن جعفر

واربعة من مماليكه والقوا القبض على بقية آل عيسى بن بدر وعبيدهم واجلوهم عن خشامر وقرى القطن .

ويقول باعباد ان زوج السلطان منصور هرعت الى قصر الخضراء حين علمت بمقتل زوجها وكان في يدها سيف ، وعند مدخل القصر قابلت سالم بن علي بن هرهرة وعبدالله مانع بن علي جابر فهوت عليهما بالسيف وجرحتهما جرحا بسيطا واخذا يقاومانها بشيء من اللين والرأفة ولكن لما تمادت في غيها ضربها احدهما بالسيف فهوت نحو الارض ميتة ، يا لها من جرأة وشجاعة سيدة يافعية تحمل السيف لتقاتل به جماعة من يافع انتقاماً لزوجها الكثيري ، انها مثل اعلى للحب والاخلاص والوفاء .

وأراد جماعة من يافع قتل الامير عمر نجل السلطان منصور الكثيري ولكن السلطان عوض منعهم ، وليس هذا فقط بل احاطه برعايته واكرمه كل الاكرام وقرر له مرتبا شهريا مدى حياته ، ولما رغب الامير عمر في السفر الى اندونيسيا زوده السلطان عوض بكل ما يحتاج اليه خلال سفره ومنحه مبلغا كبيراً من المال .

انفرد السلطان عوض بن عمر القعيطي بحكم شبام وركز السلطة في يده ولكن من غير استبداد فقد كان لا يبت في امر الا بعد ان يستشير اعوانه من يافع وهكذا استطاع يافع ان يوطدوا مركزهم ويمدوا سلطانهم وان يكونوا لهم دولة في حضرموت بعد صراع استمر عشرات السنين (١)

الداعي الى الله

وهذا لقب أطلقه السيد حسين بن عبد الله الدباغ على نفسه حين قام

(١) من اراد المزيد فليقرأ كتابي « في جنوب الجزيرة العربية » و « تاريخ حضرموت السياسي » للمؤلف

في يافع بحركته التي هزت اليمن وادخلت الرعب في حكومة عدن .

جاء السيد الدباغ من مكة المكرمة مسقط رأسه الى اليمن ونزل ضيفاً على الأمام وبعد اربعة أشهر قضاها في اليمن أطلع في خلالها على كل صغيرة وكبيرة سافر الى ايطاليا ومنها الى الحبشة فبريطانيا فالهند فحضرموت وهناك أقام في المكلا وأنشأ مدرسة باسم الفلاح وكانت الاولى من نوعها ولقد انتجت مدرسته وتخرج عليها عدد ، هم اليوم من كبار موظفي الحكومة القعيطية الحضرمية وغادر السيد الدباغ المكلا الى الحج وهناك انشأ مدرسة باسم الفلاح وترك الحج الى عدن أنشأ مدرسة ثالثة باسم الفلاح . وفي رجب سنة ١٣٥٧ غادر عدن وسافر الى اليمن براً لزيارة ولي عهد اليمن سيف الاسلام احمد (الامام الحالي) ومعه اربعة وعشرون طالباً من ابناء يافع وغيرهم بطبولهم وملابسهم الرسمية وعند ما وصل الضالع عدل عن الذهاب الى تعز وذهب بفرقته الموسيقية المكونة من الطلبة الى يافع التي تبعد عن امارة الضالع شرقاً بحوالي ٨٨ ميلاً . وفي ١٦ رجب عام ١٣٥٧ وصل يافع فقوبل بحفاوة بالغة واسعة النطاق وأقام في صنفره في بلاد المفلحي وهناك انشأ مدرسة باسم الفلاح وانضم اليها عدد كبير من ابناء رؤساء يافع واعان الملأ انه نوى الاقامة في يافع لنشر العلم وتمكين اصول الدين في قلوب يافع وغيرهم من سكان الجنوب . وكان السيد الدباغ على جانب كبير من الدهاء وقوة الشخصية وفصاحة اللسان لذلك أخذت دعوته تمتد ويتسع نطاقها في يافع وفي خارج حدود يافع وجاءته الوفود من قبائل كثيرة للسلام عليه وتهنئته بنجاح دعوته ووصلته دعوة من بعض المشايخ في مقاطعة البيضاء ورداع .

وفي مساء ١٥ شعبان عام ١٣٥٩ سافر وبصحبته ثلاثمائة مسلح وعدد من الطلبة بطبولهم ووصل الضاهرة يوم ٢٠ شعبان . وعلم الامام بوصول

هذه القوة التي يقودها السيد الدباغ الى اليمن فخاف وذهبت به الظنون مذاهب شتى وأراد الامام ان يقضي على هذه القوة الزاحفة قبل ان يتسع نطاقها ويمتد لهيب خطرها لذلك جهز ٨٠٠٠ مقاتل تحت قيادة السيد الضميمي ولما بلغ السيد الدباغ نبأ قدوم جيش الامام انسحب من اليمن الى بلدة حمرة في يافع ولكن الجيش اليمني احاط بالبلدة للقبض على السيد الدباغ الذي اصبح عدد اتباعه نحو الفين واشتد القتال بين الفريقين واستمر النضال ثلاثة أيام وكان النصر لجيش الامام وكانت الخسائر فادحة في الفريقين .

وعاد السيد الدباغ وفلول قوته الى بلاد القطبين التي تبعد عن عدن بنحو ٦٨ ميلا وهناك اعاد الكرة فدعا القبائل الى التكاتف والتعاون والصلاح فاجتمع حوله عدد كبير من قبائل ردفان . وخافت حكومة عدن من تكتل القبائل وتجمعها حول الداعية السيد الدباغ فارسلت منشوراتها الى انحاء جنوب الجزيرة العربية تطلب القاء القبض عليه مقابل مكافأة قدرها عشرة آلاف روبية وخمس بندقيات .

واستمر السيد الدباغ في دعوته ونشاطه . وفي ٢ رمضان عام ١٣٦٠ قتل ضابطان بريطانيان ما بين الضالع ولحج فظنت حكومة عدن ان للسيد الدباغ يداً في مقتلهما فارسلت طائراتها تلقي المنشورات على بلاد قطيب طالبة تسليمه مع ستة من رؤساء البلاد وهددتهم بالقاء القنابل عليهم اذا لم يجيبوا طلبها ولكن قبائل قطب رفضت قبول طلب حكومة عدن فارسلت الحكومة طائراتها واخذت تلقي القنابل في رمضان واستمر القاء القنابل ثلاثة اشهر وعززت طائراتها بقوة من الجنود تحاصر القبائل وذات ليلة هجمت القبائل وعلى رأسها السيد الدباغ على القوة المحاصرة واشتبك القتال في ثلاث مناطق الحراء والشمير والسليك وكان النصر للقبائل اذ فرت القوة المحاصرة تاركة خلفها كثيرا

من المؤن والمعدات الحربية وكان عدد القتلى والجرحى من الجانبين كثيرا .

وأخيراً توسط سلطان لحج وبعض رؤساء المحميات بين الفريقين وهدأت الحالة وفي صفر سنة ١٣٦١ سافر الدباغ الى حضرموت سراً لزيارة بعض اصدقائه وعند ما وصل المشهد القي القبض عليه بواسطة حاكم المهجرين السيد محمد عوض النقيب احد طلبة السيد الدباغ الذين تخرجوا على يده في مدرسة الفلاح بالمكلا وسلم السيد الدباغ الى يد المستشار الانكليزي مستر انجرامس الذي ارسله بدوره الى عدن ومنها الى البلاد العربية السعودية حيث وافته المنية بجيزان عام ١٣٦٢ .

جغرافية يافع

تقع بلاد يافع على هضبة صخرية تحدها شمالاً وغربا اليمن وتحدها جنوبا محميات عدن وتحمل هذه الهضبة العالية كتلة جبلية وعرة المسالك اعلاها جبل ثمر الذي يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٨٢٤٥ قدما .

وعلى الرغم من وقوع هذه الكتلة الصخرية في المناطق الحارة فان مناخها معتدل جاف بل يميل الى البرودة اذا قيس بالمناخ الحار الذي يسود المناطق الجنوبية كلحج وعدن والعوالق وحضرموت ولا شك ان الارتفاع هو العامل الوحيد لاعتدال مناخ يافع العليا فان المعروف ان الهواء لا يكتسب الحرارة مباشرة من الشمس وانما عند ملامسته لسطح الارض لذلك نجد الهواء في سماء يافع العليا عليلا واحيانا بارداً ولا اثر هناك لرياح السموم ، وتهطل الامطار هناك صيفا بسبب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية وهذه الرياح تمر على اليمن اولا ولذلك نجد كمية الامطار الساقطة في اليمن اكثر مما هي في يافع . وينحدر جزء كبير من مياه الامطار الى الاودية العميقة حيث يزرع البن . واعظم هذه

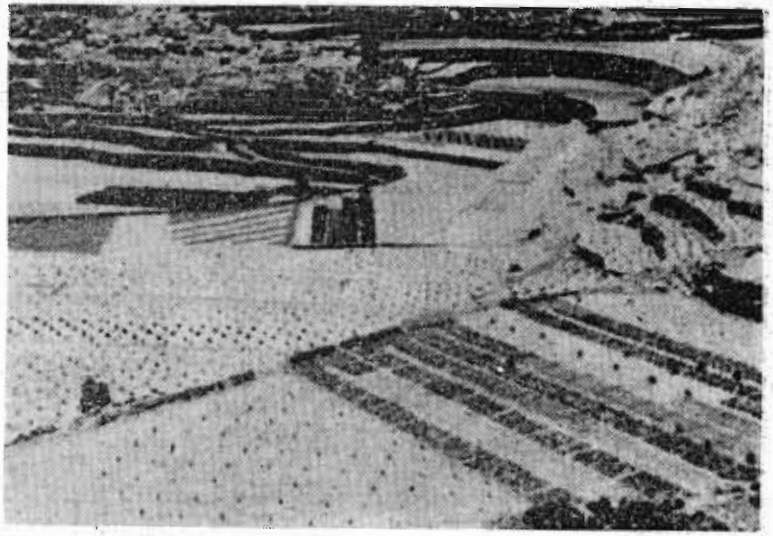

أراض زراعية على سفوح جبال يافع العليا

أراض زراعية على سفح جبل عال

أشجار البن في يافع السفلى

الاودية وادي حطيب الذي يتصل بوادي حمْرَة عند نهايته ويصب في في وادي بنا وهذا الوادي يمد اراضي ابين بالماء طول العام

ومما تجدر الاشارة اليه ان معظم مياه الامطار يستغلها يافع في ري الاراضي الزراعية القليلة بطرق حديثة مدهشة . ولم يأت ذلك عن طريق التعليم بل ادركوه بفرط الذكاء وكثرة العناية وطول التجربة .

وأهم المزروعات الذرة والبن والقمح والبرسيم . وتمد اليمن يافع بالحبوب احياناً ، وقلت احياناً لأن يافع قد تتعرض لاغارات الجراد

وقد يكون هطول المطر في فترات متباعدة وهذا بالطبع يؤثر تأثيراً كبيراً في الانتاج .

والناس هناك لا يعتمدون في ري الاراضي على مياه الامطار فقط بل أيضاًعلى مياه الآبار الارتوازية التي يبلغ عمقها من ١٥ الى ٣٠ قدماً . ويرفع المـــاء من الآبار في دلاء من الجلد مربوطة بحبـــال موثقة الى حيوانات تسير بها الى أسفل المعر المائـل وهذه هي الطريقه البدائيـة السائدة هناك .

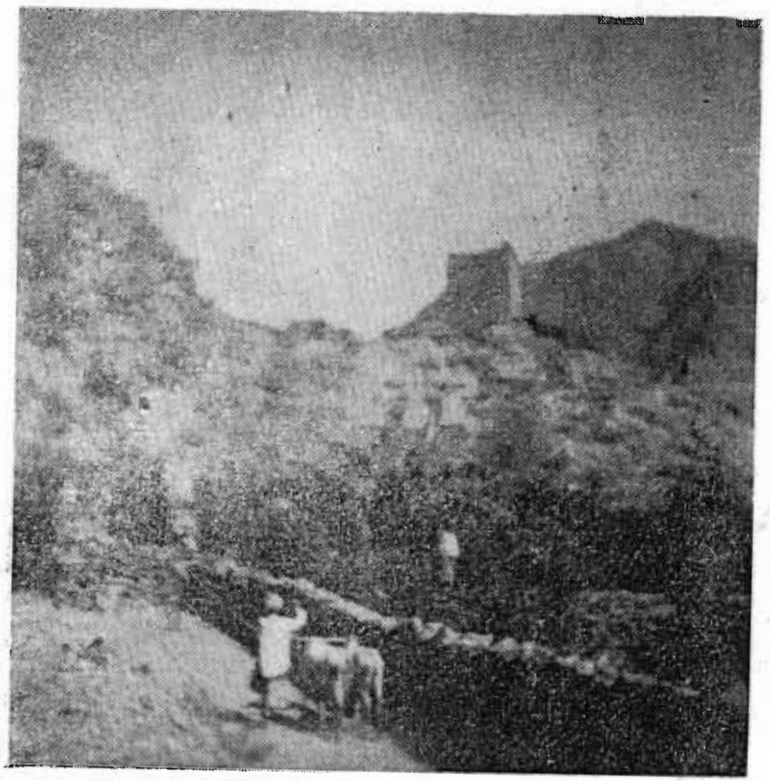

بئر إرتوازيه في يافع السفلى

الثروة الحيوانية

ومن أهم الحيوانات الموجودة في بلاد يافع ، الماعز والغنم والبقر والحمير ويعتبر الغنم والماعز اعظم المواشي التي تقدم للسكان الغـــذاء من اللحم واللبن . ويُستعمل البقر غالبـــاً في حراثة الارض وفي رفع الماء من الآبار . اما الحمار فيعتبر المقيم على الاخلاص والوفاء وهو الحيوان الذي يثقل ظهره بالاحمال الثقيلة .

الحالة الاقتصادية

ومساحة الاراضي الصالحة للزراعة والانبات محدودة جداً سواء التي في سفوح الجبال أو التي في بطون الاخاديد والوديان . واهم الغلات التي والذرة والقمح وهي فيما عدا التي – لاشد حاجة السكان لا سيما اذا شح المطر أو أغار الجراد على الزرع ولذلك قـد يعتمدون عـلى اليمن لسد حاجتهم من الحبوب .

اما الزيوت والمنسوجات فهم يبتاعونها من عدن ومن اسواق اليمن كسوق البيضاء .

وتقدر ثروة الشخص هناك بمـــا يملكه من اراض زراعية ولهذا فالثروة محدودة وهذا من اهم الاسباب لنزوح كثير من يافع من بلادهم الى الخارج .

وهذه الهجرة افادتهم الى حد كبير ، فقد استطاع بعضهم ان يكونوا ثروات في عدن واندونيسيا وملايا .

ومنذ بضع سنين بدأوا يهاجرون الى المملكة العربيـــة السعودية وحدانا وجماعات حتى بلغ عددهم أكثر من خمسماية نسمة . وكل المهاجرين من يافع خير مثال للنشاط والجد والامانة والاخلاص والوفاء .

ولقد استفاد المهاجرون في الخارج لا من الناحية الاقتصادية فقط ، بل ومن الناحيتين الاجتماعية والثقافية . فاليافعي في الخارج او اليافعي في بلاده الذي عاد من هجرته اكثر مرونة وأوفر ثقافة من اليافعي الذي لم يغادر بلاده الى الخارج .

المواصلات

والطرق وعرة لا يمكن اجتيازها الا بمشقة وجهد فالعقـــاب ذات الانحدارات الهائلة كثيرة . على ان هناك طريقاً صالحاً لسير السيارات اذا رُمِّمَ وَهُذِّبَ وَعُبِّدَ وهو الطريق الذي يمتد من لبعوس شرقاً الى الجربة غربا .

والحمير أهم وسائل المواصلات بين بلدان يافـــع وبينها وبين البلاد المجاورة لها . ولهذه الحمير قدرة عجيبة على صعود العقاب الوعرة واختراق الممرات الصخرية الملتوية .

ومعظم الناس يحبون السير على اقدامهم اكثر من الركوب لأن اعتدال الجو يساعدهم على ذلك . وانا اثناء رحلتي كنت امشي ساعتين أو ثلاثاً دون ان أشعر بتعب أو ملل .

الحالة الاجتماعية

وقبائل يافع سواء في المناطق العليا اوالسفلى لا تزال تحتفظ بالصفات العربية كالكرم والصراحـــة وحماية المستجير والدفاع عنه بكل مرتخص وثمين .

والنساء سافرات الوجوه والعفة ابرز صفة تحتفظ بـه المرأة اليافعية وتعتز بهوهن يشاركن الرجال في فلاحة الارض وريّها وزراعتها وفي تربية

المواشي والاغنام وقد يشاركنهم ايضا في الحرب .

والمرأة اليافعية تستقبل الضيوف حتى في غياب زوجهـا وتقدم لهم القهوة ولكن في منتهى ما يتصوره العقل من العفة والعزة .

واجراءات الزواج عند اليافعيين مبسطة الى اقصى حدود البساطة وتخضع المرأة لزوجها خضوع الامة لسيدها ولا تطلب الطلاق من زوجها مهما كانت معاملته لها قاسية . ومتى طلقت يصبح امر زواجها في يدها ولكن ليس لها ان تختار الا بعد موافقة أبيهـــا او من يقوم مقامه وهكذا عكس البنت البكر فلا يؤخذ رأيها عند زواجها . وزواج ابن العم من ابنة عمه له المقام الاول حتى ولو كان احدهما فقيرا والآخر غنيا .

والحماة من اكبر الاسباب لتوطيـــد الروابط وتوثيق الصلات والعلاقات بين الزوجين وتعطف كل العطف على زوج ابنتها وهـذا عكس ما نشاهده في مصر فان الحموات هناك يتدخلن في كل شيء يتعلق بشئون ازواج بناتهن ومتى ينشأ الخلاف بين الزوجين ذلك الخلاف الذي كثيرا ما يؤدي الى الطلاق . ويمتن عرو القرابة عند اليافعيين عـلى ناحيتين :

النظام الاموي والنظام الابوي مع ارجحية ناحية الاب على ناحية الأم . ووصلت الاسرة عندهم الى اضيق نطاقها فاصبحت لا تشمل الا الزوج والزوجة واولادهما ما داموا في كنف الاسرة ، غير انه لا يزال يوجد لديهم رواسب من النظم القديمـة ، فكل فرد ينتمي الى اسرتين عامتين هما اسرة عمومته واسرة خؤولته ويرتبط افراد كلتيهما بطائفـة كبيرة من الروابط الاجتماعية وبكثير من الحقوق والواجبات وذلـك الى جانب انتمائه الى اسرته الخاصة الضيقة التي تتألف من أبويه واولادهما .

ومن الغريب انه بينما الاتراك يمنحون البنت نصيباً من التركة يساوي نصيب الولد نجد بعض الناس في يافع لا يعطون الاناث نصيبهن من الارث

البتة . ولما سألناهم عن سبب هذا الحرمان المخالف لنص الاسلام قالوا ان المرأة عادة تعيش في كنف زوجها وهو وحده المسئول عن اشباع رغباتها الضرورية وغير الضرورية . اما الذكور فهم الذين يعولون انفسهم ويعولون اباءهم وامهاتهم ومن يلحق بهم من اعضاء الاسرة والحقيقة اننا لو حللنا هذه العادة الشاذة المخالفة للكتاب والسنة من الناحية النفسية لوجدناها ترجع الى الأنانية . فهم لايريدون ان ينتقل جزء من اموال المورث الى زوج بنته وهو أي الزوج عنصر دخيل على الاسرة . وعلى كل حال فان هذه العادة السيئة اخذت تزول تدريجيا وستختفي وتدخل في خبر كان حين يثقف الناس وينتشر التعليم .

وفي أي بلد من بلدان يافع حلات فانك تدعى لشرب القهوة وفناجين القهوة كبيرة واسعة ولا مقبض لها وتتناول الفنجان المملوء في يدك اليمنى ويطوف الساقي بالدلة بين الضيوف من واحد الى آخر ويشرب الضيف فنجانين او ثلاثة أو اكثر من ثلاثة . والبن اليافعي معروف بجودته وبمذاقه اللذيذ وهم يشربون القهوة ليلا ونهارا من غير سكر ومن غير لبن . اما الشاي فلا يشرب الا نادرا .

والطعام الرئيسي في يافع يتكون غالبا من لحم ومرق وخبز وعصيدة معمولة من الذرة . ويتولى المضيف توزيع اللحم على الضيوف بالتساوي تقريبا وحين يقدم الطعام يجلس المدعوون على ركبهم ثم يتربعون بحسب العادة العربية في الولائم وهم يتناولون الطعام بيد واحدة واستعمال اليد اليمنى يعتبر مراعاة لآداب المائدة العربية . وترى في ركن من غرفة الطعام شخصا يحمل ابريقا فيه ماء ساخن يصب منه على ايدي الضيوف ويتلقف الماء القذر طشت آخر تحت اليدين . ويحملون الماء في كاسات وعيونهم يقظة منتبهة يسرعون بالتقديم لكل من يشير اشارة طفيفة عاجلة او يهمس همسا بما يريد .

والعادة المتبعة في بلاد يافع ان يقوم على خدمة الضيوف اولاد المضيف واحيانا الضيف نفسه . وهم لا يأكلون الخضروات ولا الفواكه لندرتها . وطريقة السلام عندهم هو ان ينحني كل منهما للاخر ويقبل يده . وعندما يجلس على الارض يجب الا تكون اقدامه ممدودة في وجه احد من الحاضرين فقد يعتبر ذلك اهانة . ويفضل ان تكون القدمان محبوستين تحت الساقين .

وليس بين اليافعيين طبقات فالديموقراطية تسود كل قبيلة منهم ولا اثر للرق عندهم . وهم بوجه عام ميالون للمرح والضحك يتقبلون النكتة ويبادلونها ، وهم مع ذلك سريعوا الغضب ، كثيرو الجلبة والصياح يرفعون اصواتهم عند الحديث حتى لتحسبهم يتشاجرون . والموبقات في يافع لا وجود لها البتة فلا هناك بغاء ولا خمر ولا قمار ولذلك لا نجد لامراض السل والزهري والسيلان اثراً بينهم . وليس هناك ملاجىء ولا مستشفيات ولا اطباء . فالحالة الصحية في يافع جيدة جداً .

الحالة العلمية والوعي القومي

ليس في يافع السفلى ولا العليا مدارس سوى عدد قليل جداً من الكتاتيب يتعلم فيها البنون القراءة والكتابة ومبادىء الدين .

فالجهالة تسود البلاد اليافعية من اقصاها الى اقصاها . ويوجد في يافع شعراء واشعارهم مزيج من العامية والفصحى . وهناك اغان شعبية وقد ينتقل بعضها الى البلدان المجاورة لهم ولكنها لا تحمل شيئا من صفات الخلود فسرعان ما تختفي وتحل محلها اغان جديدة ونحن هنا نورد قصيدة عصماء للشاعر الشيخ احمد أبي بكر النقيب شيخ الموسطة قدمها للسلطان عيد روس بن محسن العفيفي منذ بضع سنين . وهي صورة للشعر الحميني .

بسم الله الرحمن فاتق أرض كانت في الرتق
هام المولع ذي درج فكره على ذاك الرتوق
سبحان من حكّم ونظّمها على أحسن طبق
وساسها على الماء بسطها ثمّ بالقدرة وثوق
والعالم العلوي طباقه سبع في سبع طبق
نظّم وحكّمها طباقا سبع في سبع طبوق
ثم الصلاة آلاف صلو عدّما الناطق نطق
على محمد صفوته هو صاحب القول الصدوق
يا هاجسي سرح وحط أبيات واحذر من ربق
لأن اللسان أفخر سلب وأخطر سلب عند الربوق
ها بعد يا عازم من القدمه محل أهل الوثق
ملم في يافع وأصل القبيلة فيها وثوق
ما هل حوادث فارقت من بين يافع وافترق
ثور الغيالق ذي عطل لمّا سحق بقص سحوق
والأصل من ساد القبُل وأحكم بنطقه في الحلق
والرفق طبعه والشفق والصدق سيف أهل الحقوق
يا مرسلي رشح لمهُره ذي تفيدك بالحزق
وأعبر بلاد الموسطه هم كنز راسي بالحزوق
وأعبر بحد اهل المسن خاوى نحوه في روق
والحال واحد لا صدق نحن نرقع للشعوق
واسرح وخلّه في شمالك محجبة فيها غرق
سر مدوهي لامي ومردع للجواهم والبروق
واطلع جبل عالي وبه نصبه على الحده شهق
ميزانهم وافي عساهم يحفظوا من شي يحوق

ومر في وادي حمومه خير وادي ذي فلق
بين المكانب مختلط عاقل بهر راس الحلوق
واعبر في السعدي رجاله ذاكية وقت الحمق
لتقاربت لصفاف وقت الحرب تصلح للحموق
واطلع على القاره محكّم حيدها فيه الرشق
وأثار فيها سابقه للمدعي في كل سوق
سلّم على السلطان جامع شمل يافع ذي فلِقْ
سلّم عليه آلاف ما لبارق برق وامسى يسوق
لتخبّرك صفّيت له في قول صافي ذي بثق
هاجت عواصف بالأمم من غربها لمّا الشروق
واهل الشجع واهل الطمع حارو وهم بآخر رمق
كادو وخانو في أمم والعاقبة فيهم تحوق
لا بد من ويلات تهدم جمعهم مَن كل شق
معهم صنايع مخفية كان بيى منهم يفوق
من مكرهم قاموا مع اليهدان في قهر الحق
باطل يسود على المرب والقدس مجمع للفروق
يا كل مؤمن قو عزمك من تذق نفسه تذق
والباطل آيُرفع بعون الله ما تجلس ضيوق
يا بو محمد نطلبك تسمح لنا لا شي زاق
يا لأمرقم فاده ويافع باتجي بعدك دفوق
وأمر بما يرضي الأله واثبت وسابق من سبق
في حفظ لوطان أعتمد وأبنه مباني على الوثوق
مجلس معاكم في بين نرجو ثباته من دهق
حكّم لهم خطّه يعيشو رهطكم أهل الحقوق

قانون في جمع البلد لأهل الوطن في الحرث حق
كثّر من السكان من يافع ولصوات إبتفوق
حكتم لما اليه وأسس مجد ما مثله سبق
يسجل التاريخ لك ذكراً يُخلّد كالفتوق
يقول أخو قاسم تقدم يا بن محسن في الرفق
ماليوم يافع ما همه إن التفرق به خزوق
والريح با تدخل مع التفريق من تاك الحزق
يا كل عارف نبهو ذي هم في الغفلة غروق
ثم الصلاة آلاف صلو عدمًا الناطق نطق
على محمد صفوته هو صاحب القول الصدوق

وهذه قصيدة وطنية له

سبوح قدوس يا خير الطلب ... يا مرتجى وانت لي خير الطلاب
فرج همومي وضيقي والكرب ... ومن قصد فضل جودك ما يخاب
يا لله لتضيقة فك العكب ... سبحان ذي من دعى ليه أستجاب
يا خالق آدم بأرضه والرحب ... وقال له كن من الماء والتراب
وازكى صلاتي على خير العرب ... على الذي جاء بسنة والكتاب
يقول أخو قاسم الها حسن ولب ... وجاب لخبار من حصن الغراب
وادي معاني على صوت الطرب ... والحان يدي على صوت الرباب
بازل بميماً توصل وأقترب ... صوته يشجي خاطري والقلب طاب
وبعد يا مرسلي قل لي وجب ... عليك بالله تحمل ذا الكتاب
من مطرح أهل الشفع وأهل الرتب ... كان على رتبته يخشى العتاب
الموسطه دربها يا خير درب ... أهل السياسة وشجعان الحراب

عُقّال واتباع يُصَبّو من مصب ... لتعاطلوا يتبعوا بعد الصواب
وان حد لقط منّهم قول الصعب ... ضموا مشوره على مولى الصعاب
من بينهم ما يحبون الذرب ... ولا تطف ذي يُدَخلهم وراب
واعبر بجد الضبي سلم وَجبْ ... على المشايخ ولُمْ شُيبه وشاب
لخبار قد حققهْ كان جرَبْ ... واين الذي قال ما بعرف خطاب
ما قام بالوعد كنّهْ قد غلب ... مختاف من صنعته فيها خياب
وبعد يا مرسلي عجّل وهب ... لا حد لبعوس عجّل في الجواب
واظهر على الحيدبا تنظر عجب ... حصون مُتحكّمه فيها صلاب
من قرن حدّان للديوان لُبْ ... ناد المخوه وديرتهم قراب
سلم على الشيخ بن محسن وجب ... ثم اخوته والمخوه باحتساب
يا خير مكتب ويا خيرت سلب ... للشور واحد فلا يخرب خراب
الراس والجسم واحد في العطب ... لشتان واحد شكت جمع العصاب
ذكرت عزم النصارى والعيب ... ملعون ملعون من هون وخاب
يافع جبل فيه على الأرض أنتصب ... واشعاب صعْبه وسكانه ذياب
يا هلكون المخادع والذنب ... من سام بيع الوطن بعده عقاب
ملعون من باع أرضه بالذهب ... والا الوضيعة يريد الأنتصاب
في مصوأ قامو صناعه والحطب ... والحرب يدوي وحتى في نصاب
والكازمي وابن عفرير أقتطب ... توره على الكفر تقمع كل باب
نادى المنادي يشلون السلب ... يجاهدون النصارى والحياب
بارق برق والوعد فيهم قد قرب ... كناهمو ما تخطو على الرقاب
واصل عليهم من المولى منحسب ... بصنعت أيديهم ينالون العذاب
رَسَخَتْ عداوتهم مقرر في الكتب ... آيه مريحة مقرر في الكتاب
كم حالوبا يخرجو من ذا الحنب ... واعمالهم حاطت عليهم في الحراب
غيام مترادفه تحت السُحُبْ ... عارض وبه دمدمه سرب سراب

يا كل حر شق عزمك واعتَرب صوت العرب قد ينادي للشباب
نادى المنادي بجـــامعة العرب في جمع لقطـــار با يظهر خطاب
وأزكى صلاتي عـلى خير العرب عـلى الذي جاءَ بسنه والكتاب

والوعي القومي في يافع خامد راكـــد ولكن المهاجرين منهم يشعرون بما هم فيه من تأخر في كل شيء ويتألمون لذلك بعض الألم ولا شك ان ذلك ناتج عن اختلاطهم بشعوب أرقى منهم ثقافة واكثر خبرة

هيئة ادارة جمعية شباب يافع بعدن

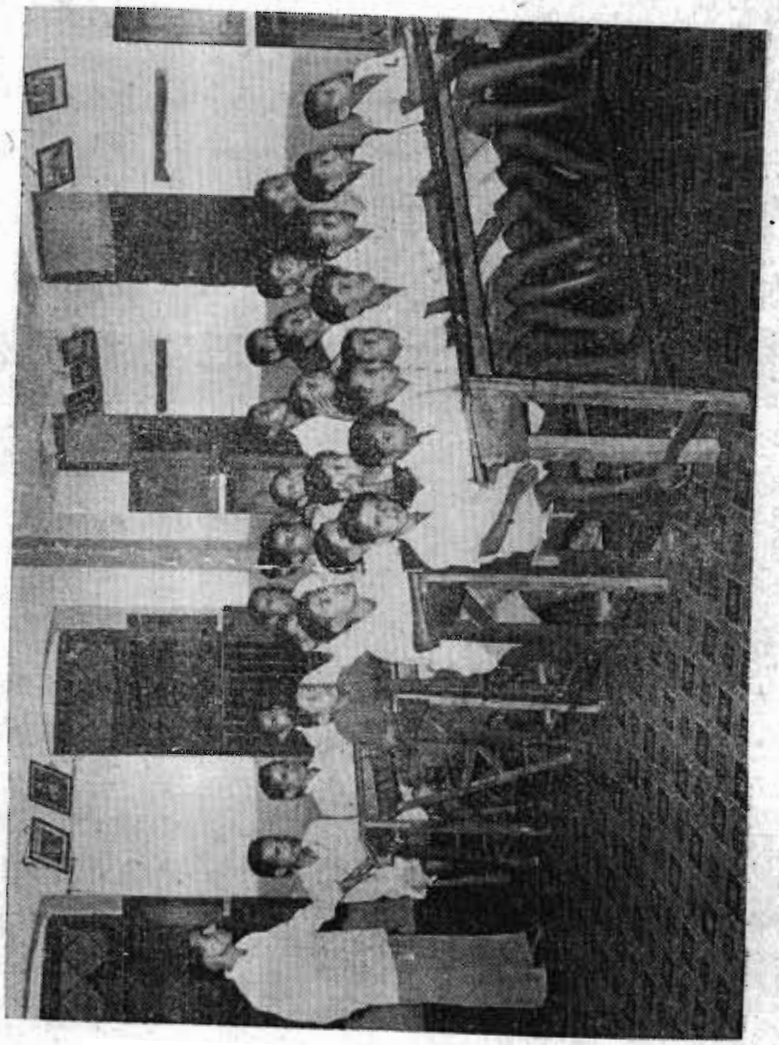

طلبة جمعية شباب يافع بعدن

بشئون الحياة . ولقد انشأ يافع في اندونيسيا جمعية لهم كان لها نشاط محسوس قبل الحرب العالمية الثانية .

وفي عدن أنشأ يافع « جمعية شباب يافع » لاصلاح ذات ورفع مستوى قومهم الى المكانة اللائقة بهم . ولهذه الجمعية قسم خاص يقسم به كل من يريد الانضمام من يافع اليها وهذا نصه :

(والله العظيم رب موسى وابراهيم ومحمد (ص) أعاهدكم بلساني وضميري ان اعد نفسي اخا ومساعدا لكل من يشترك في جمعية « شباب يافع » وان لا اخونه في اي مكان كان وان أسلم اشتراكي الشهري واطيع ما امرت وتأمر به الجمعية ما دام الغرض هو المصلحة العامة واشهد الله على ما نطقت به والله خير الشاهدين) .

وللجمعية قانون خاص مطبوع يحدد اهدافها وواجباتها .

واقام جماعة من يافع بعدن ايضاً « نادي الاتحاد اليافعي » (١) وكان على رأسهم الفقيد الشيخ احمد محمد بن سبعة الذي وافته المنية منذ شهرين وكل من الفريقين يريد اصلاح شئون ابناء جنسهم في المهجر وفي الوطن .

رئيس نادي الاتحاد اليافعي
الشيخ الفقيد أحمد محمد بن سبعه

ولقد سعى اناس ومنهم السلطان عيد روس بن محسن العفيفي والسيد علي عبد الله العيسائي لجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم ولكن المساعي لسوء

(١) لجمعية « نادي الاتحاد اليافعي » قانون وقد كاتبنا الادارة لارساله الينا لنشره في هذا الكتاب ولكنهم لم يرسلوه .

الحظ باءت بالفشل وآخر محاولة لتوحيد جهودهم منذ عامين فقد اتصلت حين كنت في عدن بالفريقين ودعوتهم في التكتل والتعاون والاتحاد ولكن المساعي ذهبت ادراج الرياح .

الحالة السياسية

تنقسم بلاد يافع الى قسمين : يافع العليا ويافع السفلى

يتدربون على الرماية في الهواء

يافع العليا :

يبلغ عدد سكان يافع حوالي سبعين الف نسمة معظمهم يحمل السلاح ويعتزون به ويمتازون بقوة الشكيمة والشجاعة والدهاء وهم أقرب الى المدنية منها الى البداوة ويرجع ذلك الى هجرة بعضهم الى الخارج واختلاطهم باوساط ارقى منهم ثقافة وخبرة واوفر علما .

تدريب الشبان على الرماية

وأهم المدن هناك هي :

قرية قويش ويقيم فيها بنو بكر ويبلغ عدد حملة السلاح منهم نحو ستمائة .

الشبر عاصمة مكتب الحضارم .

الهجر عاصمة مكتب لبعوس .

ذيصراء عاصمة مكتب الضبي .

القدمه عاصمة مكتب الموسطه.

الجوبه عاصمة مكتب المفلحي.

الصيره بها سوق كبيرة تقام يوم الخميس من كل اسبوع .

مسجد النور كانت عاصمة يافع العليا إبان الحكم اليمني .

المحجبة مقر السلطان الهرهري.

وتشمل يافع العليا خمسة مكاتب : مكتب الحضرمي وهو اصغر مكتب ومكتب ، لبعوس ومكتب الضبي ومكتب الموسطة ومكتب المفلحي .

وكل مكتب ينضم تحت لوائه فخائذ أو قبائل .

أولاً - مكتب الحضارم

رئيسه الاعلى الشيخ محمد محسن بن غالب والفخائذ التابعة له هي :

١ - العطف وعاقلهم الشيخ علي محسن الحضرمي

٢ صنيان وعاقلهم الشيخ حسن صالح

ثانياً - مكتب البُعسي

رئيسه الاعلى الشيخ محمد محسن الضباعي وتنضم تحت لوائه الفخائذ الآتية :

١ آل عمر

٢ - آل عبد الصمد

٣ - آل الجرف

٤ - آل سُحيّان

٥ آل بن مَتّاش

٦ - آل هرم

٧ آل بهينة

٨ - آل عديوه

٩ آل حريب

١٠ - آل مضيق

١١ - آل الشَّسْعة

١٢ - آل البُر

١٣ - آل حَبه

١٤ - آل طبيه

١٥ - آل احمد

١٦ - آل المغْرَا

١٧ - آل منصور

١٨ - آل الديوان

ثالثاً - مكتب الضُّبَيّ

رئيسه الأعلى الشيخ صالح بن سالم بن عاطف جابر والفخائذ المنضمة تحت لوائه هي :

١ - الطفي	عاقلهم	ابن سكندر
٢ - الصُّدي	«	بيت عاطف جابر
٣ - الصلاحي	«	ابن عبدالرب بن ناصر
٤ - الشرقي	«	ابن ابو ظلعة
٥ - السعيدي	«	ابن السعدي

رابعاً - مكتب الموسطة

رئيسه الاعلى الشيخ احمد ابو بكر النقيب ومساعده الشيخ حسين ابن صالح النقيب والفخائذ المنضمة تحت لوائه هي :

١ - السُّعيدي	عاقلهم	بيت النقيب
٢ - المسعدي	«	الجهوري
٣ - الجرادي	«	ابن شيهون
٤ - اليسلمي	«	ابن عليو
٥ - الحوثري	«	ابن سعيد العفيف
٦ - الرشيدي	«	الحريبي
٧ - العروي	«	الحميري
٨ - العيسائي	«	ابو شامة
٩ - القعيطي	«	ابن عتيق
١٠ - العدني	«	السعدي
١١ - الخلاقي	«	محمد علي الخلاقي

ويلحق بمكتب الموسطة ايضاً .

١٣ - ربوي والداوودي	عاقلهم	الشيخ حسين بن صالح الداوودي
١٢ - قريضي	«	« محمد عبدالله الجيشي
١٤ - بني ضبيان	«	ابن عمر موسى

وفي الشعيب ست فخائذ هي السيِّل والاردف والنجدي والقزعي والرباط والعنفدي كانت خاضعة لمكتب الموسطة والآن تحت اشراف الانجليز .

خامسا - مكتب المفلحي

رئيسه الاعلى الشيخ قاسم بن عبد الرحمن المفلحي وهو شيخ بلاد المفلحي السفلى ايضاً ويقيم في خله وينوب عنه في بلاد المفلحي العليا اخوه الشيخ عبد الحميد بن عبد الرحمن المفلحي .

وتنضم تحت لوء مكتب المفلحي الفخائذ الآتية :

اولا - في المناطق العليا

١ - الجربي	عاقلهم	هادي بن عبد الله القديمي
٢ - منفر	«	المنفري
٣ - بنو بكر	«	عبد اللاه بن دينيش البكري
٤ - آل يونس	«	محمد سالم اليونس
٥ - آل نعمان	«	قاسم بن عبد ربه
٦ - عثارة	«	ثابت يحيى
٧ - آل الذراحن	«	احمد محمد بن حمزة
٨ - آل سليمان	«	محمد خالد الحريبي
٩ - آل الدهارش	«	الدهرشي
١٠ - الطالبي	«	زين بن علي صالح
١١ - السعدي	«	صالح سعد بن قادش
١٢ - السالمي	«	يحيى سالم الحلمي
١٣ - التامي	«	ابن عجيل
١٤ - المربع	«	ناجي محمد بن جمال

ثانيا - في المناطق الشمالية (بلاد بني مسلم)

١٥	كاثوم	عاقلهم	محمد موسى بن علي سعد
١٦	القدام	»	القويعي
١٧	الشجر	»	الدهامي
١٨	ذي كنبنة	»	عبد الله منصور

ثالثاً - في بلاد المفلحي السفلى

خَلَّة وملحقاتها	عاقلهم	احمد محسن المفلحي
الحربة	»	شايف ناجي
شُكُع	»	سعيد يحيى
صرارة	»	ابن العواضي
الظاهرة	»	قحطان بن محسن
أَرْحَب	»	عبد الرزاق بن حاجب
مَرَات	»	قاسم عبد اللاه المفلحي
عرش	»	ناجي محمد

ومما تجدر الاشارة اليه ان بلاد المفلحي السفلى وبلاد بني مسلم تحت اشراف الانجليز ولكن الحكم والادارة في أيدي آل المفلحي ، وأول من هاجر من المفالحة الى المناطق السفلى الشيخ قاسم بن ناصر المفلحي واخوه حسين أقاما في جبل حرير (مرات) وقوي مركزهم في الظاهر وارحب وغيرها ولقد منحهم امام اليمن السلطة على خَلَّة وشُكُع وملحقاتها ولقد اطلعت بنفسي حين كنت في خَلَّة على الوثائق التاريخية القديمة التي كتبت من قبل الامام والتي منحت الامتيازات لآل المفلحي وعندما جاء الاتراك واحتلوا جبل حرير خاف المفلحي على مركزه

فاستنجد بابن عفيف سلطان القارة وبابن الشيخ علي سلطان المَحْجَبَه لطرد الاتراك من جبل حرير على تقسيم حاصلاته الى ثلاث اقسام : قسم للمفلحي وقسم لسلطان القـــارة وقسم لسلطان المَحْجَبَه . واستطاعوا اخراج الاتراك ولكنهم اي الاتراك عادوا وهدموا حصن شُكُع ولما ضعفت سلطة الاتراك منح امام اليمن القـــاسم السلطة للشيخ يحيى بن قاسم المفلحي على ربع منطقة الشعيب وكان عهدئذ الشيخ عبد القادر السقلدي شيخاً على الشعيب .

يافع السفلى

يبلغ عدد سكان يافع السفلى بما فيها يافـــع حوالي خمسين الف نسمة معظمهم يحمل السلاح ومن مزاياهم الشجاعة والجلد والكرم وهم اقرب الى البداوة منهم الى الحضارة .

واهم المدن هناك .

القارة وهي مقر السلطان عيد روس بن محسن العفيفي وينوب عنه ابنه الامير محمد .

حُومَه عاصمة يَهَر .

سَرَار عاصمه كَلَد .

مربان عاصمة السعدي .

رِبَان عاصمة اليزيدي .

الخضراء عاصمة الناخبي .

الحُصن عاصمه يافع الساحل (ابين) وبهـــا قصران للسلطان عيد روس وابنه الامير محمد .

جعار بها مركز اللجنة الزراعية الانجليزية لاراضي أبين .

وتشمل يافع السفلى اربعة مكاتب هي : كَلَد والناخبي واليزيدي ويَهَر وكل مكتب يضم تحت لوائه فخائذ .

أولا - مكتب كَلَد

ينقسم مكتب كلد الى قسمين :

الجلاّدي ورئيسه الاعلى بيت العطوي .

المنصّري « « بيت العبسي .

ولكل قسم فخائذ :

فخائذ الجلاّدي

١ - ابن عبد الهادي
٢ - ابن عبد الباقي
٣ - المخيري
٤ - العلوي
٥ - آل عمر
٦ - السنيدي
٧ - السعيدي
٨ - الرهوي
٩ - ابن لصروح
١٠ - الهيثمي

فخائذ المنصّري

١ - آل غازي
٢ - البركاني
٣ - آل عياش
٤ - الجداسي
٥ - الربيعي
٦ - الباقري
٧ - البكري
٨ - الدعاس
٩ - ابن عطاس
١٠ - الجرادي
١١ - الانعمي
١٢ - آل نقيس

ثانياً - مكتب الناخبي

الرئيس الأعلى الشيخ الخضر بن محمد صالح الشقيّ، وتنضم تحت لواء مكتب الناخبي الفخائذ الآتية :

١ - آل قحيم
٢ - « حنّز
٣ - « الكهالي
٤ - « علياية
٥ - « منصور
٦ - آل بن ناجي
٧ - « مَرشد
٨ - « عمار
٩ - بني عصر
١٠ - آل الثلث
١١ - الكسادي

ثالثاً - مكتب اليزيدي

رئيسه الأعلى الشيخ احمد بن محسن بن علي بن عبد القوي البطاطي وتنضم الى مكتب اليزيدي الفخائذ الآتية :

١ - نفاجي
٢ - حمامي
٣ - كبابي
٤ - تلبي

رابعاً - مكتب يَهَر

وهو اكبر مكتب في يافع السفلى رئيسه الأعلى الشيخ صالح حسين ابن سبعة .

ومكتب يهر ينقسم الى قسمين

اولاً : يهر حمير سبأ ورئيسه الشيخ سعيد حسين

ثانياً : يهر الخوسي بن قحطان ورئيسه الشيخ عبادي جبران بن شنظور .

ولكل قسم فخائذ .

فخائذ يهر حمير سبأ

١ - حميري الجبل
٢ - « الوادي عاقلهم الشيخ عثمان محمد بن صالح .
٣ - « الوسطى « « عثمان بن فريد طالب .

٤ ـ العَرَّي عاقلهم الشيخ ثابت منصر سالم العبدلي
٥ ـ العلوي « « سعيد ناجي بن ابراهيم
٦ ـ الربيعي « « صالح حسين بن جابر علي

فخائذ بني الخموسي

١ ـ خموسي الظبهي عاقلهم الشيخ عبادي جبران
٢ ـ العمري « « عبادي راجح بن جلبوب
٣ ـ المحري « « قاسم راجح بن حلموس
٤ ـ مسلمي العبدلي « « هيثم عثمان بن الشيخ احمد
٥ ـ مسلمي العاطفي « « محمد يحيى بن عاطف
٦ ـ الشبحي « « صالح يحيى قاسم بن مخارش

والأمن منتشر في طول البلاد وعرضها فليس هناك سرقات ولانهب ولا سلب وعندما تتحارب قبيلتان فالفتنة تبقى محصورة بينهما ولا تتجاوز نطاقهما .

ومن النادر جداً قبول الدية عن القتيل فلا بد من الاخذ بالثأر من القاتل نفسه أو من أي فرد من افراد قبيلته .

وليس لرؤساء القبائل ولا للسلطان الهرهري أو العفيفي أي سلطة على قبيلة القاتل لتسليمه لأهل القتيل أو لتنفيذ حكم الشرع فيه . ومن اكبر العيوب عند القبائل أخذ الدية أو تسليم القاتل لأهل القتيل لذلك قد تستمر الحرب بين القبيلتين عشرات السنين تتخللها فترات صلح قصيرة .

وعندما يعقد صلح بين فريقين وهو يكون غالباً على يد بعض الشخصيات البارزة من الرؤساء أو الشيوخ فان كلا من الفريقين المتحاربين يحترم شروط الصلح كل الاحترام ويعمل بها دون ان يغدر

أو يخون .

ومما هو جدير بالذكر ان الصلح لا يكتب على ورق ويوقع عليه كل من الفريقين المتحاربين بل يكفي قبول اهل القتيل للصلح شفويا . وفي اثناء الصلح يتزاور الفريقان كأن لم يحدث بينهما شيء . وخير مثال لذلك قبيلتا بني بكر وخلافة فحين جمعت الشخصيات البارزة من بني بكر لعقد صلح بينهم وبين خلافة قبلوا الصلح شفويا لمدة سنة . واصبح كل فرد من افراد القبيلتين مطمئنا على نفسه كل الاطمئنان . ولقد مضى على الصلح عشرة شهور دون ان يحدث ما يخل بشروطه .

ولا شك ان هذا إن دل على شيء فإنما يدل على الوفاء بالعهود ، وهي من ابرز الصفات الكريمة عند العرب القدامى .

وكل الاحكام عرفيه ما عدا في الاحوال الشخصية كالطلاق وعقود الزواج وما الى ذلك فانهم يرجعون في ذلك الى الشريعة الاسلامية .

ومقر السلطنة الهرهري في المحجبة بيافع العليا ولكن السلطان محمد صالح بن عمر بن هرهرة اليافعي يقيم في قصره الابيض الشاهق الذي يقع على قمة جبل حلين وعلى مقربة من جبل العر ومن الحدود الشرقية الشمالية لليمن .

ولقد كان ابوه ذا شخصية قوية وقد اغتيل في شهر فبراير سنة ١٩٤٩ بيد ابناء عمومته .

ومجمل الحادث ان محمد بن ناصر هرهرة واحمد بن سيف هرهرة ، وهما من ابناء عمومته وفدا على حصن حلين ليزورا السلطان ويعرضا عليه اقتراحاً لتسوية بعض المنازعات المتصلة بالمراعي وقد دعاهما السلطان لتناول العشاء معه ، وظلوا بعد ذلك يتسامرون الى ان بلغ الليل نصفه فنهض السلطان وابنه ورجال الحرس الى حيث آووا الى فراشهم جميعا وفي الساعة الثانية صباحا فتح الزائران باب الحصن الكبير وادخلا منه

عشرة من رجالها كانوا مختفين في مكان قريب ، وما هي الا لحظة حتى انقضوا جميعا الى حجرات النوم وقتلوا السلطان وابنه وساقوا كل من كان في الحصن من الحرس والنساء الى مدينة « اهل لحد » ثم احتلوا بعد ذلك القصر واستولوا على كل ما فيه من السلاح وغيره .

ولحسن الحظ ان للسلطان ابناً آخر وهو محمد صالح كان في اثناء الحادث في الناجرة الواقعة على مقربة من المحجبة ففزع الى بعض القبائل اليافعية وشكا الى رجالها تلك الجريمه الشنيعة . وعقد رجال هذه القبائل مؤتمرا نادوا فيه بمحمد صالح وريثا شرعيا وخلفا لأبيه على ولاية المحجبة .

ومقر السلطنة العفيفية في القارة بيافع السفلى ولكن السلطان عبد روس بن محسن العفيفي اليافعي يقيم في قصره المبنى على الطراز الحديث والذي يقع على سفح جبل ببلدة الحصن بيافع الساحل وينوب عنه في القارة ابنه الأمير محمد وهو من الشخصيات المحبوبة ومحط آمال معظم السكان بيافع السفلى .

وقبائل يافع سواء الذين في المناطق العليا أو السفلى لا يدينون بالطاعة العمياء لسلاطينهم وانما هم يعتبرونهم كرمز للسلطة لا اكثر ولا أقل . ومع هذا فانهم يأتون مسرعين لنجدة السلطان حين يستعين بهم ضد أي اعتداء يقع على أراضيه .

كما أن قبائل يافع تتناسى ما قد يكون بينها من ضغائن وفتن وتصبح كتلة واحدة وجبهة قوية البنيان ضد أي عدو يهاجم من الخارج . وهذا ما جعل امام اليمن يحسب له الف حساب .

ومما تجب الاشارة اليه ان عدداً قليلاً جداً يحبون ان تنضم يافع الى اليمن وعدداً قليلاً جداً لا يكرهون الحماية الانجليزية لبلادهم ولكن الاكثرية الساحقة وهم لا يقلون عن ٩٥ في المائة لا يريدون حكم الامام ولا حماية الانجليز .

وهذا العدد القليل الذي يحب ان تنضم بلاده الى اليمن يرى ان بلاد يافع لا تسمح لها امكانياتها بالمحافظة على كيانها كشعب مستقل ، فيافع بحالتها الراهنة وبوضعها الحالي لا بد يوماً من ان تضم لأحد الفريقين الانجليز او الامام .

وهو اي هذا العدد القليل يفضل ان تنضم يافع لحكومة عربية اسلامية كاليمن . اما الجانب الثاني الذي لا يكره حماية الانجليز يرى استقرار الحياة وانتشار الأمن في البلدان المحمية كحضر موت ولحج والضالع والشعيب وهم يعلمون كل العلم ان اليمن لم تصلح امورها في داخل حدودها فكيف تقوم باصلاح غيرها خارج بلادها .

واما الاكثرية الساحقة التي لا تريد الانضمام لا لحكومة شرقية ولا لحكومة غربية فيرون الاستعمار اضراراً جسيمة لذلك فهم يفضلون ان تبقى يافع على ما هي عليه من تأخر على ان يحكمها مستعمر دخيل .

وتقوم حكومة اليمن في الوقت الحاضر بنشاط محسوس نحو ضم اليافعيين الى حوزتها فهي تمنح بكل سهولة كل يافعي يطلب جواز سفر كما انها فتحت مكتباً بجدة لمنح الجوازات اليمنية لابناء جنوب شبه الجزيرة العربية وبخاصة يافع .

ولا شك ان اليمن ترمي من وراء ذلك ثلاثة أغراض :

اولا : اجتذاب اكبر عدد ممكن من يافع وغيرهم من ابناء الجنوب

ثانيا : ان يكون هؤلاء الذين منحوا الجنسية اليمنية دعاة لليمن حين يعودون الى بلادهم .

ثالثا : تريد اليمن ان تتخذ من اقبال ابناء الجنوب على التجنس بالجنسية اليمنية دليلا ماديا لدى جامعة الدول العربية ولدى الانجليز وغير الانجليز على ان ابناء الجنوب يفضلون حكومة اليمن على غيرها من الحكومات الجنوبية .

كلمتنا ليافع

لا شك ان بلاد يافع العليا والسفلى متأخرة في كل مرافق الحياة فلا حاصلات تسد حاجة السكان ولا مدارس تنشر التعليم ولا طرق ممهدة ولا حكومة منظمة توحد صفوفهم وتؤلف بين قلوبهم وتصلح امورهم وتقيم العدالة وتكفل لكل فرد الحرية والسلام . فالفوضى ضاربة أطنابها في كل ارجاء البلاد والجهل يسود كل شيء والفقر أخذ يدفع السكان الى النزوح الى الخـــارج لطلب الرزق . ولا شك ان جانباً كبيراً من المسؤولية تلقى على عاتق السلاطين ورؤساء القبائل وعلى المتنورين من ابناء يافع . فهؤلاء يجب ان يوجهوا قومهم الى الاصـــلاح والتعمير ويرشدونهم الى الصراط المستقيم ، يجب ان يبذلوا كل ما يمكن بذله لأعلاء شأنهم ورفع مستواهم الى المكان اللائق بهم .

يجب ان ينظروا الى الاشياء بعين الحقيقـــة لا العاطفة ، يجب ان يكونوا واقعيين لا خياليين . فليهدوا قومهم الى ما فيه خيرهم وصلاح مستقبلهم ويضحوا بمراكزهم في سبيل ذلك متى اضطروا للتضحية .

انها لجريمة كبرى ان تظل قبيلتان تقتتلان عشرات السنين .

انها لجريمة كبرى ان يقضي الجهل والفقر على آلاف الناشئين . ان التعليم الصحيح أساس كل شيء من مقومات الوجود الانساني وانه اذا لم يصلح التعليم فلا بد ان ينهـــار كل شيء . ليعلموا ان تثقيف العقول وتقويم الاخلاق اهم من كل شيء ، انه اثمن رأس مال للأمة وامضى سلاح تواجه به احداث المستقبل . انهم اذا عنيوا بالناشئين في أوليتهم فقد ضمنوا في المستقبل الشعب كله وانشأوا الدعامة القوية التي يستندون اليها

حين يلتمسون اسباب الخلاص من الشدائد حين تتحرج ومن الخطوب حين تتعقد . ان الفقير الجاهل أضيق حيلة واضعف وسيلة واعجز عن مقاومة البؤس من الفقير المتعلم .

اننا اذا اردنا لاولادنا العلاج والتقدم في حاضرهم ومستقبلهم وجب علينا ان نطبعهم على مبادىء العلم الصحيح وان ننشئهم على أمهات الفضائل والاخلاق الكريمة كالتضحية والايثار والوقار والسماحة والجود والدفاع عن حومة الوطن .

ونحن امة بدائية فخليق بنا ان نكوّن جيلنا تكويناً قوياً ، قوياً في علمه قويا في تفكيره قويا في كل شيء . يجب ان نزوده بالاسلحـــة التي يخوض بها المعركة في ميادين الحيـــاة وننظم حياته بين الدراسات العلمية والعملية .

ان الاسلام يفرض علينا طلب العلم وسواء أكان هذ العلم من مسلمين او مسيحيين او مجوس فالحديث الشريف يقول « الحكمة ضالة المؤمن انّى وجدها التقطها » .

أيها السلاطين أيها المشايخ أيها المتنورون من ابناء يافع ان عجـــلة الزمان تأخذ سبيلها الى الامام والتقدم الفكري والاجتماعي والثقافي والسياسي يطالبنا بان نلبس لكل زمن لبوسه وان نساير النهضة مسايرة من يؤمن بها ويعترف بوجودها حتى لا نتخلف عن متابعتهـا ونقف في مكاننا والزمان يطالبنا بسرعة السير ومواصلة النهوض والتجديـــد .

ايها القوم ! ليس من صالح يافع ان تسلك القافلة سبلاً متعرجـــة يتعذر فيها السير لما يكتنفها من عقبات تعوق سالكها وتحول بيننا وبين الهدف الاسمى الذي ننشده والغاية التي نسعى اليها ، وليس من الحزم في شيء أن نغضي العيون عما يعترض القافلة من صعاب .

قصائد الترحيب

في الاستقبالات الرائعة التي اقيمت لنا في يافع العليا ارتجل بعض الشعراء قصائد شعبية بالشعر الحميني ننشر بعضها هنا .

قال الشيخ احمد ابو بكر النقيب سيد الموسطة :

حيا وسهلا لي وفد الى عندنا — من عاصمة الاسلام الى يافع تروس
يافع جبر والقبيلة متعصبة — ما يقبلو حكم النصارى والمجوس

وقال :

يا مرحبا حيا نظام القبيلة — زوروا أخيكم واسمعوا فيا معه
من مصر جاكم بايشوف اخياركم — ويلزم التبليغ لما الجامعة

الى ان قال :

ما تخبرك هو شيء تحقق للعرب — مشروع واحد للمدن والبادية
والعار واحد من مراكش للجنوب — لما فلسطين الجروح الداميه

في الجربة عاصمة بلاد المفلحي

قال ابن حمزة

رعنا نخاف السيل يدهم على العبر — يافع جدد واهل الحكم متعاونين
من عاون الشركال والا من سكر — باندى المجهود وبالله نستعين

قال الشيخ عبدالحميد بن عبد الرحمن المفلحي سيد المفلحي بالنيابة :

بالتنسبة والتحسبة يافع جبر — باندحن الشيطان وابليس اللعين
قال الفتى يا أهل السياسة والبصر — عقال يافع والقبل متخالفين

قال وفد الجربة :

واقول يا حيا بالمنصب ذي ظهر — يملأ المطارح ذى بها الاب الامين
والفكر بالأتى ونحذر ذي ظهر — من ذي يقيم الحق بالنصر المبين

قال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المطري :

يا مرحبا مني تراحيب المطر — رحب بكم مولى التقارين الجلال
قرنه قلم صعدي وكبده من حجر — والحرية دولة والخزانه رجال

وقال :

رلسي جبل والحيدذى نابه جبل — ومسكنه نفسي من مقارصة الجبال
الموت حيا به ولا حكم الدول — ذى هانو اهل العز وخلوهم ذلال

وقال :

با قول حيا في اصل النسب الاصل من يافع وبكري من قريش

فهـــرس

	الصفحة
الاهداء	٢
تمهيد	٧
من جدة الى عدن	٩
عدن	١٠
احتلال الانجليز لعدن	١١
من عدن الى يافع	١٥
مكيراس	١٦
مدينة البيضاء	١٧
الزاهر	١٨
داخل حدود يافع	١٨
القات	١٩
مدينة قريش	٢١
بلدة خلاقة	٢١
الصلح بين بكر وخلاقة	٢٤
قبيلتا الفردي وربو	٢٤
الحضارم	٢٦
ذيصراء	٢٦

	الصفحة
مسجد النور	٢٧
سوق الصيرة	٣٠
جبل سنام	٣٣
الجهاورة	٣٥
الجربة	٣٦
العودة الى عدن	٣٧
هجر لبعوس	٣٨
مسجد النور	٣٩
الى الزاهر مرة اخرى	٤٠
ليلة الديك	٤٥
الى خلة	٤٦
لحج	٤٧
ملاح	٤٩
شكع	٥٥
يافع السفلى	٦١
العودة الى مصر	٦٢
حلم تحقق	٦٢
خور بنا	٦٧
جعار	٧٢
الشعيب	٧٤
بنو مسلم	٧٧
العودة الى عدن	٧٨

	الصفحة
تاريخ	٨٠
يافع واليمن	٨١
يافع تغزو اليمن	٨٣
قلعة أبين	٨٥
وفاة السلطان صالح بن هرهره	٨٦
وقعة الزاهر	٨٦
وقعة لحج	٨٧
وقعة المعسال	٨٧
احتلال عدن	٨٨
الامام ينقض الصلح	٨٨
وثائق تاريخية	٨٩
يافع بحضر موت	٩٣
انتشار الزيديه في حضر موت	٩٤
استنجاد آل الشيخ ابي بكر بيافع	٩٦
موقعة بحران	٩٧
الصراع السياسي بين يافع وآل كثير	٩٩
محاولة آل الكثير استرداد نفوذهم	٩٩
مذبحة المساجد	١٠١
التجاء يافع الى القعيطي	١٠٣
عبود بن سالم يقود جيشاً	١٠٥
جلاء يافع عن تريس	١٠٦
استنجاد يافع بالقعيطي	١٠٧

	الصفحة
سقوط العقاد	١٠٨
معاهدة بين يافع و آل كثير	١٠٩
محاصرة شبام	١٠٩
يافع في تريم	١٠٩
يافع في سيون	١١١
غزو سيون	١١١
اطلاق سراح بعض يافع	١١٥
نشاط يافع	١١٦
محاولة يافع احتلال شبام	١١٦
موقعة المكلا البحرية	١١٧
مناوشات	١١٨
السلطان غالب بن محسن الكثيري	١١٩
القعيطي يقود جيشاً	١٢٠
الصلح بين الفريقين	١٢١
جلاء يافع عن غيل بن يمين	١٢١
وقعة الحصاة	١٢٢
آخر مؤامرة للسلطان منصور	١٢٢
مقتل السلطان منصور	١٢٣
الداعـــي الى الله	١٢٤
جغرافية يافـــع	١٢٧
الثروة الحيوانية	١٣١
الحالة الاقتصادية	١٣١

الصفحة

المواصلات ١٣٢
الحالة الاجتماعية ١٣٢
الحالة العلمية والوعي القومي ١٣٥
الحالة السياسية (مكاتب يافع) ١٤٣
كلمتنا ليافع ١٥٦
قصائد الترحيب ١٥٨